بسم الله الرحمن الرحيم

كلية دلتا العلوم والتكنولوجيا

الخطابة وآداب الحوار

تأليف / الدكتور : خالد حسين عيسى كرم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أول من صلى وصام ولب وطاف بالبيت الحرام طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها وسيد الفصحاء والبلغاء وعلى آله وصحبه الأتقياء النجباء .

وبعد : فهذا الكتاب هو عبارة عن مقرر مادة الخطابة وآداب الحوار الذي ادرسه لطلاب الدراسات الإسلامة بكلية دلتا العلوم وقد بني الكتاب على حسب مفردات المادة بمنهج الدراسات الإسلامية لطلاب المستوى الثالث وآثرت ان يكون لهم ولغيرهم ممن أراد أن يستفيد من هذا الفن فإن الخطابة وفن الحوار وآدابه علم قائم بذاته ونحتاجه أشد الحوجة لاسيمى الداعاة والمربون والمصلحون فكثير من الناس يحمل المنهج الصحيح وعنده من العلم ما عنده ولكن لسوء خطابته وعدم معرفته لهذا العلم من الناحية النظرية والتطبيقية لايستطيع أن يوصل الحق إلى غيره، وبعض الناس لقلة بضاعته في فن الحوار يهزم الحق فيكون كحامل سيف بتار قوي ولا يحسن استعماله ولا يقوى على حمله فيهزم بسبب ذلك والعكس بالعكس فكلما كان حامل الحق خطيبا بليغا فصيحا يحسن فن الإلقاء ويتقن الحوار ويتحلا بآدابه فإنه يوصل الحق إلى قلوب الناسب بأقصر طريق وأوضحه قال الجاحظ : (ومتى شاكل ـ ابقاك الله ـ ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر لفقا وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف كان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ويحمي عرضه من اعتراض العيابين ولا تزال القلوب به معمورة والصدور مأهوله

ومتى كان اللفظ ايضا كريما في نفسه متخيرا في جنسه وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد حبب الى النفوس واتصل بالاذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الاسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواة وشاع في الآفاق ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم الريس ورياضة للمتعلم الريض

فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة وكان ممن يعم ولا يخص وينصح ولا يغش وكان مشغوفا بأهل الجماعة شنقا لاهل الاختلاف والفرقة جمعت له الحظوظ من اقطارها وسيقت اليه القلوب بأزمتها وجمعت النفوس المختلفة الاهواء على محبته وجبلت على تصويب ارادته ومن أعاره الله من معرفته نصيبا وأفرغ عليه من محبته ذنوبا حنت اليه المعاني وسلس له نظام اللفظ وكان قد أغنى المستمع من كد التكلف وأراح قارىء الكتاب من علاج التفهم[1] .

فلله درو الجاحظ فقد لخص فائدة الموضوع بكلام رصين وعبارات جزلة واسلوب خطابي جازب يؤثر النفس ويشد الانتباه ويبرهن عمليا ما قيل نظريا عن الخطابة وتأثيرها على المستمع او القارئ

[1] البيان والتبيين ، أبي عثمان عمرو بن بحر ، الناشر : دار صعب – بيروت ،الطبعة الأولى ، 1968 ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي 1 / 217

محتوى الكتاب :

وقد جاء الكتاب محتويا على عشرة مباحث كالآتي :

1.تعريف الخطابة ونشأتها عند العرب وتطورها بظهور الإسلام

2. أنواع الخطابة

3.عوامل نجاح الخطبة في مجال الدعوة الإسلامية ومميزات الخطيب الناجح

4. فن الإلقاء

5. الخطابة في عصرنا الحاضر موضوعتها واساليبها ودورها في الدعوة

6 . الحوار : تعريفه وآدابه

7. فن المناظرة والحوار

8.أهمية الأدب في حياة المسلم

9.الخلاف : تعريفه ـ وأنواعه ـ وآدابه

المبحث الأول :

تعريف الخطابة ونشأتها عند العرب وتطورها بظهور الإسلام

تعريف الخطابة :

يعرف الخِطاب على انه الكلام ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى : (فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب)[2]

الخطابة في الإصطلاح :لها تعريفات عدة نختار منها أوضحها فهي فن مشافهة جمهور الناس واقناعهم واستمالتهم نحو الخطيب ، وما يريده من أهداف موضوع الخطبة وبالتالي فإن الخطابة تتجسد بوجود المشافهة والجمهور المستمع واداة الإقناع والإستمالة والتأثير عليهم

ومن خلال التعريف الإصطلاحي يمكن أن نصل إلى ما يعرف بعناصر الخطابة أو الإلقاء الناجح وتتمثل في الآتي :

العنصر الأول : المصدر:

وهو الملقي (الخطيب)، فلابد أن يلم بقواعد وآداب الإلقاء ليكون إلقاؤه مؤثرا ، وسوف يأتي الكلام عن مميزات الخطيب الناجح في المبحث الثالث إن شاء الله .

العنصر الثاني : المستقبِل :

وهو المستمع، فلابد من التعرف على صفاته الشخصية كعمره، ومستواه العلمي، ومستواه المعيشي، وعاداته وتقاليده وغيرها، وذلك لاختيار ما يناسبه من المواضيع،ومن طرق، ووسائل، وأساليب الإلقاء .

العنصر الثالث : الرسالة:

وهي الموضوع، فلابد من إتقان تحضيره ومراعاة كونه مناسبا للمستمعين وضمن دائرة اهتماماته وأن يخلو من العيوب كالتكرار والتطويل الممل او الإختصار المخل وسيأتي بسط الكلام عن هذا إن شاء الله .

العنصر الرابع : القناة:

وهي وسائل وأساليب الإلقاء وهي لا بد أن تكون قوية وجاذبة ومتنوعة وكلما استطاع الخطيب ان يخاطب ويحرك اكثر من حاسة لدى المستقبل فلا شكل ان تأثير ذلك يكون أقوى وأكبر وأثره أبقى عليه وسوف نتحدث بشيء من التفصيل عن فن وأساليب الإلقاء إن شاء الله في موضعه من هذا الكتاب .

العنصر الخامس : استجابة الجمهور:

وتسمى بالتغذية الراجعة وتتوقف على مدى استفادة الجمهور وتأثرهم ، والاستجابة تمثل ثمرة الخطابة وعليه فإن الخطيب الذي لا يلاحظ مدي استجابة جمهوره كالمزارع الذي يزرع ولا يعتني بزرعه ولا يقطف ثمرته .

---

[2] سورة ص الآية 28

العنصر السادس : المؤثرات الخارجية:

كضيق المكان، وحرارة الجو، وضعف الإضاءة، وكثرة الضوضاء الخارجية ونحوه وعلى هذا نخلص إلى ان الخطابة حتى تسمى خطابة فلابد أن تتوفر فيها العناصر التي ذكرت أعلاه وعلى الخطيب أن يهتم بهذه العناصر وأن يراعيها لكي يضمن استفادة الجمهور من خطبته فمن الأشياء التي تحزن القلب وتدمي الفؤاد أن ترى خطيبا لا يراعي شيئا من هذه العناصر فتكون خطبته هزيلة ومملة وغير مفيدة مما ينفر الجمهور وخاصة في خطبة الجمعة فبعض المصلين يأتون إلى المسجد وكأنما يساقون إلي الموت وهم ينظرون وبعضهم لا يأتي إلا بعد إقامة الصلاة فرارا من خطبة الخطيبة ، فعلى الخطباء أن يتقوا الله في أنفسهم وأن يحترموا مستمعهم وأن يراعوا عناصر الخطابة في حديثهم ..

نشأة الخطابة :

كان العرب يعيشون في شبه الجزيرة العربية في إطار قبائل متفرقة لكل قبيلة زعيم ورئيس ولها سيادتها الخاصة بها فلم تكن لهم حكومة تجمعهم وكانوا يعيشون في صحراء قاحلة وبئة صعبة وقاسية ، وكثيرا ما كانت تنشب الحروب بينهم والغارات ولاتهف الأسباب وكان يعقبها صلح ووئام كما كانوا يتفاخرون بالأنساب وتحاول كل قبيلة أن ترفع بين القبائل قدرها وذكرها كما كانوا يقومون بإفاد الوفود عنهم للتهنئة او العزاء او ما أشبه ذلك ومن ذلك ما ورد في ترجمة الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : كان عمر من أشراف قريش واليه كانت السفارة في الجاهلية وذلك أن قريشا كانت إذا وقعت بينهم حرب بعثوه سفيرا وأن نافرهم منافرا وفاخرهم مفاخر بعثوه منافرا ومفاخرا و رضوا به[3] .

وقد كانوا يتشاورون بينهم لعقد أمر أو فضه كما كان الحال في دار الندوة[4] ، فكانت بيئتهم مشجعة على الخطابة ومثيرة لها بالإضافة الى ما كانوا يتمتعون به من حرية التعبير وما كانوا يتحلون به من الشجاعة والإقدام والفروسية وكذلك جزالة اللغة وسهولتها عليهم فكانوا يتحدثون بها على السليقة ويملكون ناصيتها ويتفننون في التعبير بها ويتنافسون في فنون الإلقاء وعقدوا لذلك أسواقا خاص كسوق عكاظ[5] والحياة الجاهلية جعلت الخطابة ضرورية لهم، فهم في اجتماعاتهم وفي عرض آرائهم، وفي القيام بواجباتهم في السفارات والوفود كانوا -ولا شك- يحتاجون إلى الإفصاح عما يريدونه؛ رغبة في الوصول إلى مقاصدهم وكلما كان إفصاحهم أقوى وأعذب كان تأثيره في القلوب أشد، فساعد ذلك على وجود الخطابة بينهم.

شكل الخطابة في الجاهلية :

وكانت الخطب في الجاهلية على ضربين كما قال الجاحظ : ثم اعلم بعد ذلك ان جميع خطب العرب من اهل المدر والوبر والبدو والحضر على ضربين منها الطوال ومنها القصار ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحسن فيه ومن الطوال ما يكون مستويا في الجودة ومشاكلا في استواء الصنعة ومنها ذات الفقر الحسان والنتف الجياد وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ وانما حظها التخليد في بطون الصحف ووجدنا عدد القصار اكثر ورواة العلم الى حفظها اسرع[6] .

تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني ت: 852هـ الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ، الطبعة الأولى، 1326هـ 22 / 440[3]

هي مقر لتنظيم شؤون ادارة مكة كان يجتمع بها حكما مكة الرجال من قبائل قريش ، ويترشح لدخولها كل من تجاوز الثلاثين من العمر للتشاور والتحاور وإبداء الرأي فيما بينهم كما كانت لها وظائف أخرى متعددة فهي المكان الذي تنطلق منه القوافل التجارية فها كان تحط رحالها عند عودتها كما ترفع فيها را ية الحرب ، وتخرج الجيوش المكية منها [4]

هو أحد الأسواق الثلاثة الكبرى في الجاهلية بالإضافة إلى سوق مجنة وذي المجاز تعود بدايتها إلى سنة 501 للميلاد وكانت العرب تأتيه لمدة عشرين يوما من أول ذي القعدة يبيعون فيه البضائع ويلقون القصائد إلي يوم عشرين من الشهر [5]

البيان والتبين 1 / 216[6]

أغراض الخطابة في الجاهلية :

1. الدعوة إلى القتال والحض على النزال
2. الصلح والإصلاح فيما بينهم عند التنازع وبعد الحروب
3. المفاخرة بالنسب وتعداد مآثر القبيلة
4. إفاد الوفود للتهنئة أو العزاء ونحو ذلك
5. الخطبة والزواج
6. النصح والإرشاد .
7. الكهانة حيث كان الكهان يخطبون ويسجعون سجع الحمام في سبيل هدف غيبي

عوامل إزدهار الخطابة في العصر الجاهلي :

1. طبيعة الصحراء وحياة الفروسية التي كانوا يعيشونها .
2. التعصب للقبيلة والفتخار بها وبالأنساب وبالنفس
3. قلة انتشار الكتاب الأمر الذي دفع هذا النوع من الفن الذي يتميز بالتعبير الشفوي إلي الإزدهار
4. وجود الأسواق في الجهالية التي كانت العرب تجتمع فيها لابراز مواهبهم ومنها موهبة الخطابة .

مميزات الخطبة الجاهلية :

1. تمتاز بالعبارات القصيرة
2. البدء بالموضوع بشكل مباشر
3. عدم التسلسل بالأفكار
4. التنوع بالموضوعات
5. التكرار
6. فصاحة الألفاظ وخشونتها
7. وجود المثال والحكم في الخطبة
8. استخدام السجع

أشهر خطباء العرب :

قس بن ساعدة الأيادي وعمرو بن كلثوم التغلبي وأكثم بن صيفي التميمي والحارث بن عباد البكري وقيس بن زهير العبسي وعمر بن معد يكرب الزبيدي

ولقد كان لكل قبيلة شاعر وخطيب وكانت منزلة الشعر في الجاهلية مقدمة على الخطباء ثم تأخروا عن الخطباء فيما بعد قال الجاحظ : وقال عمر بن العلاء كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى

السوقة وتسرعوا الى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذلك قال الاول الشعر أدنى مروءة السري وأسرى مروءة الدني
قال ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبياني ولو كان في الدهر الاول ما زاده ذلك الا رفعة[7] .

الخطباء الشعراء :

الجمع بين الخطابة والشعر كان شيئا نادرا ومن الذين جمعوا بين ذلك
البعيث المجاشعي واسمه خداش بن بشر بن لبيد
الكميت بن زيد الاسدي وكنيته ابو المستهل
الطرماح بن حكيم الطائي وكنيته ابو نفر
قال القاسم بن معن قال محمد بن سهل راوية الكميت أنشدت الكميت قول الطرماح
(اذا قبضت نفس الطرماح أخلقت ... عرى المجد واسترخى عنان القصائد)
فقال الكميت إي والله وعنان الخطابة والرواية
ومن الخطباء الشعراء عمران بن حطان وكنيته ابو شهاب احد بني عمرو بن شيبان اخوة سدوس ومنهم دغفل بن حنظلة النسابة الخطيب العلامة
ومنهم القعقاع بن شور[8] .

نماذج لخطب العرب :

ومن الخطب التي تحرض على القتال: خطبة هانئ بن قبيصة في يوم ذي قار، يحرض قومه بكرًا على القتال، فقال : "يا معشر بكر، هالك معذور خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور، يا آل بكر، قاتلوا فما للمنايا من بد"[9].
فانظر إلى هذه الكلمات الرصينات وإلى هذا السجع الغير متكلف فلا شك أن مثل هذا يفعل الأفاعيل في النفوس ويشحذ الهمم ويشعل نار الحماسة ،
ومن كلمات الوفود: كلمة قبيصة بن نعيم في وفد بني أسد، حين قدموا على امرئ القيس بعد مقتل أبيه، فيروى أنه وفد على امرئ القيس، بعد مقتل أبيه، رجالات من بني أسد، كهول وشبان، وفيهم عبيد بن الأبرص الشاعر، والمهاجر بن خداش، وقبيصة بن نعيم، فلما علم امرؤ القيس بمكانهم، أمر بإنزالهم، وتقدم في إفضالهم، والإكرام عليهم، واحتجب عنهم ثلاثًا، فقالوا لمن يباريه من رجال كندة: ما بال الرجل لا يخرج إلينا؟ فقال: هو في شغل بإخراج ما في خزائن حجر من العدة والسلاح، فقالوا: اللهم غفرًا! إنما قدمنا عليه في أمر نتناسى به ذكر ما فات، ونستدرك ما فرط. فليبلغ ذلك عنا. فخرج عليهم في قباء ، وخف، وعمامة سوداء، وكانت العرب لا تعتم بالسواد إلا في الترات فلما رأوه نهضوا، وبدر قبيصة

---

[7] البيان والتبين ، ابي عثمان عمر الجاحظ 1 / 134
[8] التبيان والتبين 1 / 40
[9] جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، أحمد زكي صفوت ،الناشر : المكتبة العلمية - بيروت 1 / 37

فقال: إنك في المحل والقدر، والمعرفة بتصرف الدهر، وما تحدثه أيامه، وتنتقل به أحواله، بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ، ولا تذكرة مجرب. ولك من سؤدد منصبك، وشرف أعراقك، وكرم أصلك في العرب محتمل يحتمل ما حمل عليه من إقالة العثرة، والرجوع عن الهفوة، ولا تتجاوز الهمم إلى غاية إلا رجعت إليك، فوجدت عندك من فضيلة الرأي، وبصيرة الفهم، وكرم الصفح، ما يطول رغباتها، ويستغرق طلباتها؛ وقد كان الذي كان من الخطب الجليل. الذي عمت رزيته نزارًا واليمن، ولم تخصص به كندة دوننا؛ للشرف البارع الذي كان لحجر: التاج والعمة فوق الجبين الكريم، وإخاء الحمد، وطيب الشيم ولو كان هالك يفدى بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا على مثله ببذل ذلك، ولفديناه منه. ولكن مضى به سبيل لا ترجع أولاه على آخره ولا يلحق أقصاه أدناه، فأحمد الحالات في ذلك أن تعرف الواجب عليك في إحدى خلال ثلاث: إما أن اخترت من بني أسد أشرفها بيتًا، وأعلاها في بناء المكرمات صوتًا، فقدناه إليك بنسعة تذهب مع شفرات حسامك بباقي قصرته فيقال: رجل امتحن بهلك

قالوا: فبكى امرؤ القيس ساعة؛ ثم رفع طرفه إليهم، فقال: قد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم، وإني لن أعتاض به ناقة أو جملًا، فأكتسب بذلك سبة الأبد، وفت العضد؛ وأما النظرة فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها، ولن أكون لعطبها سببًا، وستعرفون طلائع كندة من بعد، تحمل في القلوب حنقًا وفوق الأسنة علقًا.

إذا جالت الخيل في مأزق تصافح فيه المنايا النفوسا

أتقيمون أم تنصرفون؟ قالوا: بل ننصرف بأسوأ الاختيار، وأبلى الاجترار ، لحرب وبلية، ومكروه وأذية. ثم نهضوا عنه، وقبيصة يقول متمثلًا:

لعلك أن تستوخم الورد إن غدت كتائبنا في مأزق الموت تمطر

فقال امرؤ القيس: لا ، والله لا أستوخمه، فرويدًا ينكشف لك دجاها عن فرسان كندة؛ وكتائب حمير! ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي، إذ كنت نازلًا بربعي، ومتحرمًا بزمامي، ولكنك قلت فأجبت، قال قبيصة إن ما نتوقع فوق قدر المعاتبة والإعتاب[10] .

ومنها وصية زوجة عوف بن ملحم الشيباني لابنتها حينما زفت إلى زوجها الحارث بن عمرو ملك كندة، وفيها تقول: "أي بنية، إن الوصية لو تركت لفضل أدب؛ تركت لذلك منك؛ ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل، أي بنية إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة يكن لك عبدًا. يا بنية: احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرًا وذكرًا، الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح؛ ولا يشم منك إلا أطيب ريح؛ والتعهد لوقت طعامه؛ والهدوء عند منامه؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة، والاحتفاظ ببيته وماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله؛ فإن الاحتفاظ بالمال حسن التدبير، والإرعاء على الحشم والعيال جميل حسن التقدير، ولا

---

[10] تاريخ الأدب الجاهلي ، د. علي الجندي ، مكتبة دار التراث / ط الأولى 1412 - 1991

تفشي له سرًّا، ولا تعصي له أمرًا؛ فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، ثم اتقي -مع ذلك- الفرح إن كان ترحًا، والاكتئاب عنده
إن كان فرحًا، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظامًا، يكن أشد ما يكون لك إكرامًا، وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما تكونين له مرافقة، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت، والله يخير لك[11] .

تطور الخطابة بظهور الإسلام :

كان ظهور الإسلام حدثا ضخما وأثرا بارزا في تاريخ الإنسانية والبشرية حيث بعث الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في حين فترة من الزمان حيث جاهلية جهلاء وشرور وبلاء وفساد في جميع مناحي الحياة أوثان تعبد من دون الله وموؤودة توأد وخمور تشرب واحتراب وقتال في اتفه الأسباب الى غير ذلك من المظالم والفساد والطوام ، فارثى النبي صلى الله عليه وسلم دعائم الاسلام ومحى الله به الظلام فازال الله به الغمة وفتح الله به قلوبا غلفا وآذانا صما وأعينا عميا ونزل القرآن المعجزة الخالدة والتي تحدى الله بها العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله أو بعشر سور منه فما استطاعوا ولن يستطيع أحد أن يأتي بذلك وقد أرتقت وتتطورة الخطابة بعد ظهور الاسلام وبلغت الغاية في الكمال مظهرا وجوهرا أو أداء ومضمونا وكان من أكبر عوامل تطورها استمدادها من القرآن العظيم والسنة النبوية المطهرة ، وقد ذكر ابن خلدون أن كلام العرب الذين أدركوا الإسلام قد فآق كلام الجاهليين في الشعر وفي النثر بأنواعه وفي الخطابة ثم قال : فإنا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة والحطيئة وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وبشار ثم كلام السلف من العرب في الدولة الاموية وصدرا من الدولة العباسية في خطبهم وترسيلهم ومحاوراتهم للملوك أرفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في منثورهم ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الاسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثليهما لكونها ولجت في قلوبهم ونشأت على أساليبها نفوسهم فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقا من أولئك وأرصف مبنى وأعدل تثقيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والبصر بالبلاغة[12].
ثم إن الخطبة في الإسلام اكتسبت مزايا وخلال لم تكن في خطب الجاهليين من الابتداء بالحمد والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والتشهد بالشهادتين والاستشهاد بآيات القرآن وأحاديث سيد الفصحاء النبي صلى الله عليه وسلم والإلتزام في مضمونها

---

[11] المصدر السابق 1 / 268
[12] تاريخ ابن خلدون 1 / 580

بآداب الاسلام مما يعني ترك بعض الأغراض التي كانت في الجاهلية من التفاخر بالأنساب والتنافر والتعالي ونحو ذلك .

خصائص الخطابة في العصر الإسلامي :

1.بروز الطابع الديني حيث استخدم الخطباء المسلمون ألفاظ القرآن الكريم واستدلوا بآياته وقللوا من جودة الخطبة الخالية من القرآن وسموها الشوهاء كما وشحوا خطبهم بأحايث سيد الفصحاء والبلغاء النبي صلى الله عليه وسلم واسدلوا بها

2. التقليل من السجع الذي كان يبرز بشكل كبير في خطب الجاهلية وخاصة سجع الكهان الذي كان يدعي صاحبه التنبؤ بالمستقبل ومعرفة الغيب باستخدام ألفاظ غامضة وغريبة وذات جرس إحائي

3. وحدة الموضوع والفكرة وكانت خطب الجاهلية تفتقر إلي هذه الخاصية

4. وضوح الأفكار وجزالتها وسلاستها

5. اندثار المنافرات والمفاخرات القديمة وذلك لان الإسلام حاول إمالة هذه الأفكار بالدعوة إلى الوحدة ونبذ الفرقة .

6. الإيجاز مع البلاغة فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على تقصير خطبة الجمعة وحث أبو بكر الصديق أحد قادته على تقصير خطبه لجنوده حتى لا ينسوا كلامه ومواعظه

7. البدء بالبسملة وحمد الله تعالي والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل خطبة تخلوا من هذه البداية تسمى البتراء .

أشهر الخطباء في الإسلا م :

على رأسهم سيد الفصحاء والبلغاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم صاحبه أبوبكر الصديق ثم الفاروق عمر وقد كان قبل الإسلام سفير قريش وموفدهم إلى القبائل والملوك ثم عثمان ابن عفان وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين وقد اشتهر في أمة الإسلام خطباء كثيرون يصعب حصرهم ، ومن أشهرهم أيضا عبدالله بن عباس رضي الله عنهم ، وهو الذي قالوا عنه : إن ابن عباس : خطب بمكة وعثمان رضي الله عنه محاصر خطبة لو شهدتها الترك والديلم لأسلمتا . وقد ذكره حسان بن ثابت

فقال :

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع
سموت إلى العليا بغير مشقة
بملتقطات لا ترى بينها فضلا
لذي إربةٍ في القول جداً ولا هزلا
فنلت ذُراها لا دنيّاً ولا وغلا

وقال الحسن كان عبد الله بن عباس اول من عرف بالبصرة صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفا حرفا وكان والله مثجا يسيل غربا وكان يسمى البحر وحبر قريش وقال النبي (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل)[13] .

المبحث الثاني : أنواع الخطب

(الدينية ـ السياسية ـ العسكرية ـ الإجتماعية ـ للوفود ـ للبيعة والخلافة ـ العلمية ـ القضائية)

[13] البيان والتبيين / أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ 1 / 175

تعددت أعنواع الخطابة ومواضيعها في العصر الإسلامي ،في المحافل الدينية والإجتماعية والسياسية والأدبية وغيرها وسوف نتعرض في هذا المبحث لأهم هذه الأنواع من الخطب

الخطابة الدينية :

من أهم أنواع الخطب وهي التي تلقى على مسامع الناس لإرشادهم وتعريفهم بالله وربطهم به وتعليمهم أمور دينهم فهي الخطبة التي تلقى لوعظ الناس وإرشادهم وتبصيرهم بشؤون دينهم وتوضيح عقائدهم وحثهم على المعروف ونهيهم عن المنكر

نموذج للخطبة الدينية :

أشهر وأبلغ خطبة على مدار التاريخ خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وكانت خطبه صلى الله عليه وسلم قصيرة العبارات غزيرة المعاني كيف لا وهو الذي أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم وقد قدم في هذه الخطبة خلاصة عامة وجامعة وشاملة لمهام الدين وأسس التعامل

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة ؟ قلنا بلى قال فأي بلد هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلدة ؟ قلنا بلى قال فأي يوم هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه ثم قال ألا هل بلغت ألا هل بلغت ؟ قلنا نعم قال اللهم اشهد[14]

الخطبة السياسية :

هي الخطب التي تلقى في شؤون الدولة وسياستها واطلاع الناس على مسلك الحكم وإدارة البلاد وهي تتناول المواضيع التي تتعلق بتنظيم الجماعة وإقامة الحكم فيها أكان ذلك في المجالس النيابية أو في الإجتماعات الإنتخابية فضلا عن الندوات العامة والمحافل الدولية

نموذج للخطبة السياسية :

الخطبة البليغة التي خطبها النبي صلى الله عليه وسلم في الأنصار خاصة لما وجدوا في أنفسهم وجدة في تقسيم النبيى صلى الله عليه وسلم غانئم حنين في قريش وزعامات العرب

---

[14] متفق عليه

يتألف قلوبهم للاسلام وهذا من السياسة الشرعية فجمع النبي صلى الله عليه وسلم وعالج الأنصار بخطاب بليغ وهو من السياسة والسياسة أن تسوس الناس بما يصلحهم أفرادا وجماعة

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ قَالَ فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي وَمَا أَنَا قَالَ فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ قَالَ فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ الْأَنْصَارِ قَالَ فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ

وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ قَالُوا بَلْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ قَالَ أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ قَالُوا وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ قَالَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَعَائِلًا فَأَغْنَيْنَاكَ أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ قَالَ فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقْنَا[15] .

الخطب العسكرية والجهادية :

هي الخطب التي يلقيها القادة عادة للجنود وأغراضها تثبيت لأقدامهم عند القتال وبث روح العزيمة في نفوسهم وتشجيعهم على القتال

نموذج الخطبة العسكرية :

كان ذريق ملك الأندلس استخلف عليها شخصاً يقال له تدمير، وإليه تنسب تدمير بالأندلس، فلمّا نزل طارق من الجبل كتب تدمير إلى ذريق: إنّه قد نزل بأرضنا قومٌ لا ندري أمن السماء هم أم من الأرض، فلمّا بلغ ذريق ذلك - وكان قصد بعض الجهات البعيدة لغزو له في بعض

---

[15] مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل الشيباني ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثانية 1420هـ ، 1999م ، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون
18 / 255 / 11730

أعدائه - رجع عن مقصده في سبعين ألف فارسٍ، ومعه العجل تحمل الأموال والمتاع، وهو على سريره بين دابتين، وعليه مظلّة مكللة بالدرّ والياقوت والزبرجد. فلمّا بلغ طارقاً دنوّه قام في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثمّ حثّ المسلمين على الجهاد، ورغّبهم ثم قال: أيّها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدوّ أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنّكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام، في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوّكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلاّ ما تستخلصونه من أيدي عدوّكم، وإن امتدّت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ذهبت ريحكم، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة، وإنّ انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت، وإنّي لم أحذّركم أمراً أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطةٍ أرخص متاعٍ فيها النفوس إلاّ وأنا أبدأ بنفسي، واعلموا أنّكم إن صبرتم على الأشقّ قليلاً، استمعتم بالأرفه الألذّ طويلاً، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي، فما حظكم فيه بأوفى من حظيّ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الرافلات في الدرّ والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً، ورضيكن لملوك هذه الجزيرة صهاراً وأختاناً، ثقةً منه بارتياحكم للطّعان، واستماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان، ليكون حظّه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته، وإظهار دينه بهذه الجزيرة، وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم، والله تعالى وليّ إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين، واعموا أنّي أوّل مجيبٍ إلى ما دعوتكم إليه، وأنّي عند ملتقى الجمعين حاملٌ بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى، فاحملوا معي، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره، ولم يعوزكم بطلٌ عاقل تسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه، احملوا بأنفسكم عليه، واكتفوا الهمّ من فتح هذه الجزيرة بقتله، فإنهم بعده يخذلون[16].

الخطبة الإجتماعية :

وهي الخطب التي تكون في البرامج الإجتماعية العامة والخاصة كالزواج أو لتكريم أو تأبين أو في تهنئة بنعمة خاصة أو عامة وغيرها وتختلف موضوعاتها باختلاف المناسبة

نموذج للخطبة الاجتماعية :

من النماذج العظيمة والخطب الإجتماعية الرصينة البليغة خطبة أبي طالب في زواج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها حيث حضر أبو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها، ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر، فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وضئضئي معد وعنصر مضر، وجعلنا سدنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس.

---

[16] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن المقري التلمساني ، الناشر : دار صادر- بيروت - لبنان ص.ب 10 ، الطبعة الأولى 1968 ، المحقق : إحسان عباس 1 / 241

ثم إن محمد بن عبد الله بن أخي، من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به براً وفضلاً وكرماً وعقلاً، ومحتداً ونبلاً، وإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل ورزق حائل، قد خطب خديجة بنت خويلد، وبذل لها من الصدقات ما عاجله وآجله في مالي. وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم خطر جليل[17].

فانظر إلى هذه البلاغة والفصاحة والكلمات الجزلة والعبارات الرصينة كيف لا والكلام عن سيد البشرية وأكرم من وطئة قدماه الثرى ومن وصف برجاحته برا وعقلا وفضلا وكرما من سيدة فاضلة من فضليات نساء قومها ،فهذه تسمى خطبة إجتماعية لانها في موضوع اجتماعي

خطب الوفود :

برز هذا النوع من الخطب عند القبائل التي قدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتكون الخطبة مخاطبتا هذا الوفد بما يتناسب وحاله

نموذج لخطب الوفد :

قال ابن عباس قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال مرحبا بالوفد غير الخزايا ولا النادمين فقالوا يا رسول الله إن بيننا وبينك المشركين من مضر وإنا لا نصل إليك إلا في أشهر الحرم فحدثنا بشيء من الأمر ان عملنا به دخلنا الجنة وندعو إليه من وراءنا فقال آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع آمركم بالإيمان بالله وهل تدرون ما الإيمان بالله قالوا الله ورسوله أعلم قال شهادة أن لا إله إلا الله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن تعطوا الخمس من الغنائم وأنهاكم عن أربع عن نبيذ في الدباء والنقير والحنتم والمزفت[18] .

خطبة البيعة والخلافة :

وهي الخطب التي تلقى عند البيعة بالخلافة ونحوها سواء كان من الخليفة بعد التنصيب وهو ما يسمى بخطاب العرش أو من المابيعين تأييدا وتأكيد للبيعة ونحوها .

نموذج لخطبة البيعة والخلافة :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : ثم تكلم ابو بكر ـ يعني بعد توليه الخلافة ـ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أمابعد أيها الناس فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وان اسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق ان شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله وهذا إسناد صحيح[19] .

الخطبة العلمية :

---

[17] ربيع الأبرار / للزمخشري 1 / 467

[18] الإيمان، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية ، 1406 1 / 305

[19] البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، الناشر : مكتبة المعارف - بيروت / 248

هي الخطب التي تلقى في المؤتمرات والندوات العلمية المختلفة وهي أقل الخطب بلاغة ولا تستنزل الدموع ولا تثير العواطف ولا توقد نار الغضب والحماسة ولا تحرك عوامل البغض أو الرحمة . كلام علمي صناعة وبحثا وتركيب بسيط يقرب منال الحقائق العلمية من الأذهان على أن البلاغة الحقة لا تعرف لها حدود في تتدفق من القلب والفكر أيا كان الموضوع .

الخطبة القضائية :

وهي التي يقوم بها القاضي أو المحامي وفيها من كل فن خبر لان المحامي يدعى إلى الخوض في كل موضوع وعليه أن يلم بأطراف العلوم ويكون واسع الإطلاع

ملاحظة على تقسيم الخطب إلى أنواع :

يلاحظ أن علماء الخطابة قسموا الخطابة إلى أنواع وجعلوا الخطبة الدينية نوعا منفصلا عن بقية الأنواع فلا يفهم من ذلك أن الدين ليس له علاقة ببقية الأقسام أو ان صاحب الخطبة الدينية لا يتطرق للخطاب السياسي أو الإجتماعي أو غير ذلك من الأنواع وهذا الفهم هو في حقيقته نابع من الفهم العلماني القاضي بفصل الدين عن الحياة ولذلك لابد من التنبيه أن الدين لا ينفصل عن هذه الأقسام والأنواع البتة فالإسلام من خصائصة الشمول فهو دين شامل لأمور الدنيا والآخرة وصاحب الخطبة الدينية لا يمنعه مانع من ان يتحدث عن أمور سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وفق ما يعلم من شرع الله وأنواع الخطب الأخرى مصدرها الدين الكتاب والسنة فاذا فهم هذا فنحن لا نمانع من أن يكون للخطب انواع وأن تكون لهذا الأنواع خصائص ومميزات تميزها فهذا واقع لا نستطيع ان ننكره .

المبحث الثالث :

عوامل نجاح الخطبة في مجال الدعوة الإسلامية ومميزات الخطيب الناجح

إن مجالات الإلقاء كثيرة جدا ويصعب حصرها. ولعل من أبرز أمثلتها: خطبة الجمعة، والدروس المنهجية سواء في المدارس أو في المساجد، والمحاضرات العامة على تنوع موضوعاتها، والمواعظ، والمناسبات العامة، والاحتفالات، والمؤتمرات، والبرامج الإذاعية والتلفازية وغيرها.

وقد كان لمجيء الإسلام أبرز الأثر في تطور فن الخطابة كما تقدم ، فهي خير ما يستعين به الدعاة والأنبياء والمصلحون في الدعوة إلى مذاهبهم وعقائدهم، وبها بدأ النبي صلى الله عليه وسلم نذارته لأهل مكة حين أمره الله تعالى أن يصدع بالدعوة فخطب على الصفا فهتف : يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا إليه ، فقال : (أرأيتم إن أخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقي؟) قالوا ما جربنا عليك كذبا قط قال (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[20] والخطابة هي أشد الأنواع الأدبية التزاماً، لأنها تهدف أبداً إلى التأثير والإقناع، معبرة عن عقيدة الخطيب، ورأيه في مشكلات المجتمع ، وسوف نتحدث في هذا المبحث عن العوامل التي تساعد في نجاح الخطبة في مجال الدعوة الإسلامية ومميزات الخطيب الناجح ولا شك أن هذا المبحث من أهم مباحث الكتاب فلو طبق الخطيب ما جاء في هذا المبحث فسوف تكون النتيجة بإذن الله خطبة ناجحة ومؤثرة ومحققة لأهدافها وهذا هو خلاصة الموضوع برمته .

عوامل نجاح الخطبة ومميزات الخطيب الناجح :

1.فهم الواقع :

ولا يمكن أن ينجح الخطيب في أداء مهمته على الوجه المطلوب، إلا إذا استطاع الأخذ بألباب سامعيه، بالأسلوب البليغ، والحجة الظاهرة، والخطبة الباهرة، والإثارة والتشويق، وأنى للخطيب أن يفيد إن لم يراعِ مقتضى الحال، فلكل مقام مقال ، فيجدر به مواكبة الأحدث، ومسايرة الوقائع، وملائمة موضوع الخطبة للأحداث الجارية، والملابسات الواقعة، فالكلام

---

[20] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري ، الناشر : دار طوق النجاة ،الطبعة : الأولى 1422هـ ، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر 6 / 94

في حال الأمن يختلف عنه في حال القلق، واختلاف الظروف وتقلبات الأحوال تتطلب من الخطيب أن يكون فطناً مسايراً لما يحدث حوله، وأن لا يكون في وادٍ، وحال المجتمع في وادٍ آخر، كأن يكون بعيدا عن تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، ورد الشبهات والأباطيل التي يثيرها خصومه لبلبلة الأذهان، ومواجهة الأفكار الهدامة والمضللة، بتقديم الإسلام الصحيح، وإبراز خصائصه من السماحة والشمول والتوازن والعمق والإيجابية. فيجب لتحقيق الهدف المنشود من الخطبة ربطها بأحداث المجتمع، وبالواقع الذي يعيشه الناس، والتركيز على علاج أمراض المجتمع، وتقديم الحلول لمشكلاته. كما يجب تثبيت معنى الأخوة الإسلامية،ومقاومة النزعات والعصبيات العنصرية المفرقة للأمة، المشتتة لشملها، والمثيرة للأحقاد والبغضاء.

2. التحضير الجيد للموضوع :

من أهم صفات الخطيب الناجح وعوامل نجاح الخطبة هو التحضير الجيد للخطبة المبني على فهم الواقع وقد تميزت خطب النبي صلى الله عليه وسلم باشتمالها على عناصر الخطبة الجيدة مثل تقسيمها إلى عناصر وأفكار رئيسية فيبتدئ بالبداية الملائمة ثم يذكر مايريد ثم ينهي بالخاتمة الملائمة لأن الخطبة تحتاج إلى مقدمة تهيئ أذهان المستمعين وخاتمة تؤكد العناصر المهمة في الموضوع وتلخصه ولك أن تتأمل خطب النبي صلى الله عليه وسلم كيف كانت بديعة التقسيم والترتيب والتحضر ففي خطبة الفتح اشتملت على العديد من المواضيع والقضايا والتشريعات المهمة والتذكير بالله تعالى والموعظة الحسنة وغير ذلك من العناصر ، ثم ختمها بما يؤكد عرضه ومما ختم به تكليفه السامعين بحمل أمانة التبليغ لمن ورآءهم بقوله (وليبلغ الشاهد الغائب)[21] فالخطيب المتميز هو الذي يحضر خطبته تحضيرا جيدا ومن الداوفع المهمة التي تدفع الخطيب ان يحضر تحضيرا جيدا إستشعاره للمسؤولية أمام الله تعالى واحترامه لمستمعيه فعليه أن يحسن عمله وان يتقن وظيفته قال تعالى : (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)[22] وقال تعالى : (إنا لا نضيع أجر المحسنين)[23] وقال النبيصلى الله عليه وسلم : (إن الله كتب الإحسان على كل شيئ)[24] فبقدر الجهد الذي تبذله في التحضير يكون إحسانك وهو دليل على صدقك في الاستعانة بالله والتوكل عليه ، وأما أن تترك التحضير حتي يأتي يوم الخطبة ثم تجمع كلمة من هنا ومن هناك وترجع الى الإرشيف فتجمع موضوعا غير مناسبا وغير محضرا ثم تقول الله الموفق وانا مستعين به فهذا من تلبيس إبليس ومن الكذب والخداع كما قال الحسن البصري رحمه الله : (إن أقواما قالوا نحسن[25] الظن بالله كذبوا لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل)

مراحل التحضير الجيد :

---

[21] صحيح البخاري 1 / 109 / 105

[22] البقرة الآية 195

[23] الكهف الآية 30

[24] الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، الناشر : دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت / 72 / 5167

أ.تحديد الموضوع ويلاحظ فيه ارتباطه بالواقع وحاجة السامع إليه فينبغي على الخطيب أن يحدث الناس بما يحتاجون لا بما يشتهون .
ب . جمع المعلومات بالرجوع إلى المصادر وعلى الخطيب أن ينتبه من صحة المعلومات وما يورد من أدلة وبراهين
ج . التخطيط والعناصر فلابد ان يكون الموضوع مرتبا ومتسلسل تسلسلا منطقيا حتى يسهل حفظه للخطيب وفهمه للمستمع .
د . الحفظ الجيد خاصة للنصوص والأدلة .

3. الوضوح :

وهذا نعني به إختيار الألفاظ السهلة المفهومة لدى المستمع مع مراعاة مستوى السامعين والتيسير عليهم وتفصيل المجمل من الكلام وتوضيحه فيكون حديثه واضحا بينا يفهمه السامعون ، ولا ينتقل من فكرة أو من عنصر إلى آخر إلا وهو متأكد من استيعابهم له ما أمكن مع مراعاة الفروق الفردية في القدرة على الإستيعاب وذلك بأن ينوع في طرق العرض وأساليب الكلام لتوضيح مقصده كالتكرار والتأني في الكلام ويراعي حسن النطق وتجويد الكلمات والحروف .

4. الإخلاص والصدق :

هذا من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها الخطيب الناجح ومن أهم عوامل نجاح الخطبة، والإخلاص هو تصفية العمل من رؤية الناس والصدق هو تصفية العمل من رؤية النفس فالخطيب يجب عليه ان يبتغي بخطبته وجه الله ولا يريد مدحا ولا ثناء أوغرضا من أغراض الدنيا وانظر إلي خطابات الأنبياء لأقوامهم (ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين)[26] وهذا هو حال كل الأنبياء كما قال مؤمن آل يسين : (قال ياقوم أتبعوا المرسلين إتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون)[27]

5. التفاعل الصادق أثناء الخطبة (حرارة العاطفة)

هذا مما يثير المشاعر النفسية عند المدعوين ويلفت انظارهم ويجذب انتباههم وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا خطب وأنذر بيوم القيامة احمر وجهه وعلا صوته وأشتد غضبه كأنه منذر جيش كما روى مسلم في صحيحه من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ « صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ ». وَيَقُولُ « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ». وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ « أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ». ثُمَّ يَقُولُ « أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَىَّ وَعَلَىَّ »[28]. فإذا خرجت الكلامات من قلب صادق وبحرارة عاطفة لا شك أن وقعها وتأثرها عظيم على النفوس وهذا بخلاف الخطيب

---

[26] الشعراء الآية 109
[27] يس الآية 20 - 21
[28] صحيح مسلم 3 / 11 / 2042

البارد الذي يتحدث من لسانه لا من قلبه ولا يتفاعل مع حديثه فهذا ليكون له وقع او تأثير على نفس السامع .

6.أن يكون متصلا بجماعة المسجد الذي يخطب فيه :

وهذه من الصفات المهمة للخطيب ومن عوامل نجاح خطبته ، فالإنسان كما يقال مدني بالطبع قال ابن خلدون : إنك تسمع في كتب الحكماء قولهم أن الإنسان هو مدني الطبع، يذكرونه في إثبات النبوات و غيرها. و النسبة فيه إلى المدينة، و هي عندهم كناية عن الاجتماع البشري. و معنى هذا القول، أنة لا تمكن حياة المنفرد من البشر، و لا يتم وجوده إلا مع أبناء جنسه. و ذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده و حياته، فهو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبدا بطبعه[29]. فالناس لا يستطيعون العيش إلا مع بعضهم البعض ولذلك على الخطيب أن يكون حسن الصلة بمن يستمعون إليه ولا يقف عند حد منبره فقط بل يجب أن تمتد دعوته إلى خارج المنبر والمسجد وأن تكون العلاقة بينه وبين المدعويين قائمة على الإشفاق والرحمة وتقديم الخير والإحسان وليس على التكبر والقسوة والإحتقار ولك أن تتأمل كلام سيد الخطباء وإمام الدعاة صلى الله عليه وسلم عندما قال له رجل: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ، وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَئِنْ أَمْشِي مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ ، مَلأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثَبِّتَهَا لَهُ ثَبَّتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ[30] .

7. ثقافة الخطيب:

وذلك بالإطلاع الجيد على علوم القرآن والسنة والمعرفة بفنه الذي يتحدث فيه ..وإلا كان مناقضاً لنفسه فسيتضح ذلك للناس سريعاً .. وكما قيل : (كل إناء بما فيه ينضح) فالخطيب المميز هو أولاً شخص مميز في ذاته ..فارفع من ثقافتك وحسن من أدائك وكن جاداً في إنجازك.

8. موافقة القول للعمل :

وذلك بالصدق في حديثه وعاطفته ..وصدقه في علاقته مع ربه وتطبيقه لما يقول. ((يا أيها الذين ءامنوا لم تقولون مالا تفعلون .. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون))[31]. وكما في الحديث المتفق عليه ((يؤتي بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا .. فيجتمع إليه أهل النار ..فيقولون : مالك يا فلان ألم

---

[29] مقدمة ابن خلدون 2 / 131

[30] الْمُعْجَمُ الصَّغِيْرُ لِلطَّبْرَانِيّ ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الناشر : المكتب الإسلامي , دار عمار - بيروت , عمان ، الطبعة الأولى ، 1405هـ=1985م ، تحقيق:محمد شكور محمود الحاج أمرير 2 / 106 / 861

[31] الصف الآية 2

تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.؟ فيقول بل كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه))[32].

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى كيما يصح به وأنت سقيم.

9. الإستعداد النفسي :

أي تهيئة النفس بمعرف الجمهور ومستوياتهم ومكان الخطبة مما يعطي الجاهزية النفسية لالقاء الخطبة .

المبحث الرابع : فن الإلقاء

[32] البخاري 8 / 220 / 3267

تعريف الإلقاء وأنواعه:

تعتبر كل محادثة بين اثنين فأكثر، نوع من أنواع الإلقاء. ولقد صنف الإلقاء إلى ثلاثة أنواع:

ا- فردي، أي تتحدث مع شخص واحد فقط.

2- لمجموعة صغيرة كما هو الحال في الدروس المنهجية في المدارس والمساجد ونحوه.

3- لمجموعة كبيرة كما هو الحال في الخطب والمحاضرات العامة ونحوها.

مجالات الإلقاء :

إن مجالات الإلقاء كثيرة جدا ويصعب حصرها. ولعل من أبرز أمثلتها: خطبة الجمعة، والدروس المنهجية سواء في المدارس أو في المساجد، والمحاضرات العامة على تنوع موضوعاتها، والمواعظ، والمناسبات العامة، والاحتفالات، والمؤتمرات، والبرامج الإذاعية والتلفازية وغيرها.

أهداف الإلقاء:

لابد لكل عمل من هدف ، وإلا كان هذا العمل فاشلا، يتخبط فيه صاحبه يمنة ويسرى ولا يصل إلى شيء. ولا بد لهذا الهدف أن يكون واضحا، ويمكن تحقيقه. وبشكل عام فإن أهداف الإلقاء لا تخرج عن هذه الأهداف العامة التالية:-

1 - زيادة العلم والمعرفة: مثال ذلك أن تلقي محاضرة للتعريف ببلد معين أو إنسان معين أو مبدأ معين أو نحو ذلك.

2- تعزيز وجهات النظر السليمة: مثال ذلك أن تلقي محاضرة على جمع من المسلمين المصلين عن فضائل الصلاة لتزيدهم محبة للصلاة وتمسكا بها.

3- تغيير وجهات النظر الخاطئة: مثال ذلك أن تلقي محاضرة على جمع من الناس يعتقدون بجواز دعاء غير الله والإستغاثة بالأموات والأحياء من دون الله فتقنعهم بعدم جواز ذلك.

4- تعزيز السلوك العملي السليم: مثال ذلك أن تلقي محاضرة على جمع من المحافظين على صلاة الجماعة، عن فضل المحافظة عليها لتعزز فيهم هذا المسلك.

5- تغيير السلوك العملي الخاطئ وتبني السلوك السليم: مثال ذلك أن تلقي محاضرة على جمع من المدخنين، عن حرمة التدخين وأضراره، ليكفوا عنه.

فن الإلقاء الجاذب :

1.الإبتسامة :

وهذه سرها عظيم وتأثيرها كبير فهي تدل على سلامة قلب الخطيب وحبه الخير للمستمعين وحرصه على هدايتهم وهذا احساس مهم حتي يستجيب لك المستمع كما أنها مؤشر قوي على ثقة المتحدث في نفسه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (تبسمك في وجه أخيك صدقة)[33] وهذا في غير مواطن النذارة فسنة هذه المواطن كما مر معنا احمرار الوجه وارتفاع الصوت كأنه منذر جيش فلكل مقام مقال .

2. التصوير الحركي :

وأعلم أن تأثر وانجذاب المستمعين إلى الحركات أقوي من الكلمات ولذلك من فنون الإلقاء المهم التمثيل الحركي بمعنى أن تمثل كلمات بالحركات كما كان يفعل سيد الخطباء والبلغاء في خطبه قال عليه الصلاة والسلام (بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعه السبابة والوسطى)[34]

3. التمثيل الصوتي :

وهو أن يمثل الخطيب كلامه بصوته فيرفع صوته أحيان ويخفض أخرى بحسب الحال وهذا يجذب المستمع ويجعلهم منتبها بخلاف التحدث بنبرة ثابتة فهو أدعى للملل .

4. براعة الاستهلال لجذب المستمعين :

ولجذب الجمهور وإثارتهم في البداية جرب أحد النقاط التالية في حديثك :

أ.أذكر قصة مثيرة وغير معروفة.

ب .اعرض صورة أو دعهم يشاهدون شيئاً.

ج . أسال سؤالاً مثيراً غير واضح الإجابة ودعهم يفكرون في الجواب.

د . أذكر حقيقة أو بياناً مذهلاً أو اذكر إحصائية تدهش المستمعين.

هـ .حاول أن تحفظ غيباً ما ستقوله في أول دقيقة فهذا يزرع ثقة المستمعين فيك من البداية ويشعرون أنهم بحاجة للاستفادة منك.

- يقول كارين كاليش (إن لديك 30 ثانية إلى دقيقتين كي تستحوذ على انتباه الجمهور، والجمهور يكوّن عنك فكرة في هذه الفترة القصيرة ولهذا فأنت تحتاج إلى لفت أنظارهم والاستحواذ عليهم من اللحظة الأولى)[35].

5. مراعاة حال المستمعين :

---

[33] الجامع الصحيح سنن الترمذ ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون
4 / 339 / 1956

[34] صحيح البخاري 16 / 341 / 6503

[35] فنون خطابية ، أبو جعفر ماجد بن جعفر الغامدي ، السعودية – الطائف ، المكتبة الشاملة 1 / 10

من فنون الخطابة المهمة هي أنه على الخطيب ان يراعي حال المستمعين ان يتفقد أحوالهم قبل وأثناء وبعد الخطبة وأن يراعي الزمان والمكان المناسبين وكذلك المؤثرات الخارجية من حر وبرد وجلوس غير مريح أو شدة تعب وارهاق على السامعين وقد كان الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود يعظ أصحابه كل خميس فطلبوا من أن يعظهم كل يوم فبين لهم أنه يفعل بهم كما كان رسول الله صلى الله بفعل بأصحابه يتخولهم بالموعظة مخافة السأم والملل

6. حسن المظهر :

على الخطيب أن يهتم بمظهره وهندامه ونظافته الشخصية وطيب رائحته فهو محل نظر الناس ، وهو القدوة والأسوة لهم .

7. تنويع الوسائل :

كلما أستخدم الخطيب وسائل متعددة في خطبته كلما كانت الخطبة أكبر تأثيرا وأعظمة جذبا ونفعا ويكون قد حرك أكثر من حاسة لدى المستمع وهذا أدعى للتأثير ونرى ذلك في خطب النبي صلى الله عليه وسلم فمرة خط لأصحابه خطا مستقيما على الأرض كما في حديث اين مسعود حيث قال : خط لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ثم قال هذه سبل قال يزيد متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ { إن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله }[36]

8. الثقة بالنفس :

عندما يكون الخطيب رابط الجأش لا شك أنه سيكون أكثر وصولاً إلى قلوب وعقول الجمهور وكذلك يبدع أكثر فيما يريد إيصاله من رسالة.

عيوب الإلقاء :

1. إعتزار الخطيب بأنه ليس أهلا للخطابة :

إن من الخطأ الفادح .. واللبس الواضح .. الذي يقترفه الملقي في المقدمة الاعتذار بأن يقول (أنا لست بالخطيب البارع.. ولا الملقي المتميز .. إنما أحرجني أحدهم لأتحدث أمامكم .. فليس لدي الجديد.. وإنما فقط للتذكير .. وعذراً إن أمللتكم في الدقائق القادمة). غفر الله لك أتقول هذا في المقدمة ثم تريد منهم التركيز معك أو أن يعيروك أي اهتمام ؟!! بعد هذه الافتتاحية السوداوية حتى وإن أبدعت في موضوعك وأتيت بكل جديد .. واستعملت كل فن في الخطابة والإلقاء .. فلن تغتفر لك هذه الزلة في فن الإلقاء طالما كنت تطمح للوصول إلى مراتب الخطباء والعظماء .. لأن القاعدة الحقيقية والواقع الميداني يحكيان أن المستمعين يتأثرون بالبداية ويعلق في أذهانهم الطابع الذي همس به الملقي في آذانهم وخاصة إذا كان يتحدث عن نفسه وهو أعلم بها ، و إن كان يقولها بعضهم من باب التواضع ولكن حقيقة ليس هذا موضعه فبهذه الكلمات تتزعزع ثقة المستمعين بالمتحدث .

2. التقليد الأعمى :

---

[36] مسند الإمام أحمد 1 / 435 / 4142

لا تقلد غيرك في صوته أو نظرته أو لبسه أو طريقة حركته (ولا مانع من أن تستفيد من تميز الآخرين).

3. التقعر في الكلام :

لا تقعر الكلام(وهي: الفصحى المبالغ بها) ولا تتكلف استعمال أسلوب بلاغي أو سجعي فلن تبدو طبيعياً.

4. استغلال المنبر للأغراض الشخصية :

إن من العيوب الفادحة في الإلقاء أن يستغل الخطيب المنبر لتحقيق أغراضه الشخصية كالتحدث عن مشاكله الشخصية المادية وغيرها ويطلب من المستمعين حلها إلى غير ذلك وهذا يجعل الخطيب يسقط في نظر المستمعين ولن يثقوا في ما يقول بعدها .

5. اللزمات :

والمقصود بها ما يلازم الخطيب بصورة ملفته في القول او الفعل وهذا يعد عيبا لأنه يشوش على المستمع ، وتعرف هذه اللزمات إما بتنبيه من المستمعين أو بأن يستمع الخطيب إلى خطبته .

6. كثرة الحركة :

ذكرنا أن من فنون الإلقاء التمثيل والتصوير الحركي ولكن إذا كانت الحركة بصورة كثيرة ومتتابعة وعشوائية فتعد من أسوأ عيب الخطيب وتدل على اضطرابه وعدم تحضيره الجيد للموضوع .

7. ضعف الصوت :

وهذا من العيوب فعلى الخطيب أن يكون صوته مسموعا وأن يتخذ الوسائل التي تعين على ذلك من أن يخطب في مكان مرتفع أو أن يستخدم مكبرات الصوت وقد خطب النبي في أو خطبة له بعد أمره بالصدوع بالدعوة خطب على جبل الصفا حتي يكون بارزا ومسموع الصوت .

8. التطويل الممل أو التقصير المخل :

وهذا من عيوب الإلقاء تطويل الخطبة بصورة مملة فيضيق صدر المستمع وكأنه محبوس في زنزانة ويكون همه متى يفرج عنه حتى يفر من المسجد فرار الفريسة من المفترس، أو أن يقصر الخطبة تقصيرا مخلا فيكون الموضوع أبترا غير مكتمل وهذا من العيوب الظاهرة

9 . خلو الخطبة من الآيات والأحاديث :

كلما كانت الخطبة موشحة بآيات القرآن العظيم وأحاديث النبي الكريم كلما كانت فصيحة وبليغة ومؤثرة ولذلك خلو الخطبة من الآيات والأحاديث يعد من عيوب الإلقاء ومن عوامل ضعف الخطبة وقلة تأثيرها .

المبحث الخامس :
الخطابة في عصرنا الحاضر
(موضوعاتها وأساليبها ودورها في الدعوة إلى الله)

موضوعات الخطابة في عصرنا الحالي :

بعد انقضاء العهد العباسي ضعفت وفترة الخطابة ، بشكل واضح ثم في عصرنا الحالي دعت دواعي لزدهار الخطابة من جديد ويمكن تلخيصها في الأتي :

1.الإجتياح الأربي لديار وبلاد المسلمين مما دفع هذه البلاد للقيام بحركات لتحرير بلادهم من المستعمر وخاضوا في سبيل ذلك الحروب وفقدوا الكثير من خيرة أبنائهم ، ولا شك ان مثل هذه الأجواء تستدعي بروز الخطابة وبشكل قوي لأن الخطابة هي المأثر والمحرك للجماهير وهي التي تعبي الجماهير وتلهب حماسهم لتحرير الأوطان وصيانة الأعراض والحرمات وحماية المقدسات .

2. قيام دعوات اصلاحية تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتعيد الناس إلى الدين الصحيح وتحارب البدع والخرافات والمادية الجارفة مثل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الجزيرة العربية ، وبطبيعة الحال استعان أصحاب تلك الدعوات ومازالوا بالخطابة كوسيلة من أهم الوسائل لتقديم دعوتهم وإصلاح مجتمعاتهم .

3. ظهور الجامعات والمعاهد والمؤسسات التعليمية التي تبتعليم الناس أمور دينهم ، وهذه المؤسسات تعتمد على أسلوب الخطابة كوسيلة تعليمية من انجح الوسائل .

4. بعد نيل بلاد المسلمين استغلالها وحدوث استقرار قامت منافسات بين الناس في السلطة والرياسة وصناديق الاقتراع وهذا استلزم وجود الحملات الإنتخابية وفيها المخاطبات السياسية وتنافس الخطباء في ذلك .

5. بسبب تطور وسائل الإتصال والتواصل والعولمة في عصرنا هذا صارت تعقد بين الحين والآخر مؤتمرات عليمة في الدول المختلفة وتلقى في تلك المؤتمرات الخطب العلمية والتنافس الشديد في تجويدها وتحسينها حيث أن صاحبها يمثل دولته وبلده وهذا بدوره أسهم في ظهور وتطور الخطابة من جديد .

6. الحاجة الماسة والدائمة للوعظ والإرشاد والتعليم الديني وإقامة الشعائر الإسلامية للمسلمين يعد من دواعي الخطابة ومن عوامل رواجها .

أسلوب الخطبة الناجحة :

المقصود بالإسلوب نص كلام الخطيب الذي يتفوه به الخطيب من عبارات وجمل وتراكيب لفظية فهذا الإسلوب ينبغي أن يكون بليغا مؤثرا ومصوراللمعاني التي قصدها الخطيب أصدق تصوير ومعبرا عنها أجمل تعبير ، وقد مر بنا في تعريف الخطابة أن من أهم أسسها إقناع الجمهور واستمالتهم والتأثير عليهم ، والأسلوب الذي يحقق التأثير والإستمالة والإقناع لابد ان يتسم بالقوة والبلاغة فالقوة تمنح التأثير والإستمالة والبلاغة تمنح الوضوح والإقناع

قال الجاحظ : وأحسن الكلام ما كان قليلة يغنيك عن كثيرة ومعناه في ظاهر لفظه وكان الله عز و جل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة اصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة

وقد قال عامر بن عبد القيس الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان

قال الحسن رضي الله تعالى عنه وسمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ولم يرق عندها يا هذا ان بقلبك لشرا او بقلبي[37] .

وسائل الإسلوب الناجح في الخطابة :

1.يضاف إلى ما تقدم أن يكون الإسلوب خاليا من التعقيد والتقعر

2.أن يختار الخطيب المقاطع التي سيقف عليها بعناية

3.ان تكون الجمل قصيرة بقدر الإمكان

4. أن يكون الكلام خاليا من الأخطاء النحوية واللغوية

5.أن يستعمل الخطيب الخيال والمجاز والإستعارة فيثير بهذا المشاعر والعواطف

5. أن ينوع في الإسلوب ويتفنن فيه فتارة يأتي بالاستفهام وأخرى بالتعجب وثالثة يعمد إلى تقرير الحقائق وسوقها في اسلوب خبري ورابعة يأتي بضرب الأمتال وربط الموضوع بواقع الناس وهكذا

6. ان يفرغ المعنى في لفظ يناسبه فالمعاني الجزلة تحملها ألفاظ فخمة وقوية والرقيقة تحملها ألفاظ لينة لطيفة

دور الخطابة في الدعوة إلى الله :

إن الخطابة في مجال الدعوة الإسلامية لها أهمية كبرى ولا غنى عنها بتاتا البتة لما لها من دور عظيم في الإقناع والتأثير وكل الرسل والأنبياء دعو أقوامهم عن طريق الخطابة ، فهي الأكثر فعالية في نشر الدعوة وهي الأسرع فهما لأذهان السامعين

---

[37] البيان والتبين للجاحظ 1 / 59

والأغراض التي تحققها الخطابة في الدعوة إلى الله هي :
1.دعوة غير المسلمين وعرض الإسلام لهم بصورته الحقيقية النقية البهية بالحجة والبرهان والبيان
2. الوعظ والتذكير بالله تعالى واليوم الآخر والمعاني التي تحيى بها القلوب والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
ومن هذه النماذج خطبة الصديق رضي الله عنه حنما خطب فيأصحابه فقال : الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأومن به وأتوكل عليه وأستهدى الله بالهدى وأعوذ به من الضلالة والردى ومن الشك والعمى من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شىء قدير وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون إلى الناس كافة رحمة لهم وحجة عليهم والناس حينئذ على شر حال فى ظلمات الجاهلية دينهم بدعة ودعوتهم فرية فأعز الله الدين بمحمد صلى الله عليه و سلم وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون فأطيعوا الله ورسوله فإنه قال عز رجل (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا)
أما بعد أيها الناس إنى أوصيكم بتقوى الله العظيم فى كل أمر وعلى كل حال ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك وإياكم والفخر وما فخر من خلق من التراب وإلى التراب يعود هو اليوم حى وغدا ميت فاعملوا وعدوا أنفسكم فى الموتى وما أشكل عليكم فردوا علمه إلى الله وقدموا لأنفسكم خيرا تجدوه محضرا فإنه قال عز و جل (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد) فاتقوا الله عباد الله وراقبوه واعتبروا بمن مضى قبلكم واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم ضغيرها وكبيرها إلا ما غفر الله إنه غفور رحيم فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله[38] .
3. تفقيه المسلمين وتعليمهم أمور دينهم مع مراعاة العناية بسلامة العقيدة من الخرافات وسلامة العبادة من الالبدع والمحدثات وسلامة الأخلاق والسلوك من الزيغ والإنحرافات
4. تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام ورد الشبهات والأباطيل التي يثيرها خصومه لبلبلة الأذهان بأسلوب مقنع وحجج قوية .
5. معالجة واقع الناس وإصلاح أحوالهم وعلاج أمراضهم وتقديم الحلول لمشكلاتهم على ضوء الشريعة فالإسلام منهج حياة متكامل شامل .
ومن هذه النماذج :

---

[38] جمهرة خطب العرب / أحمد زكي صفوت 1 / 85

خطبة النبيى صلى الله عليه وسلم العظيمة البليغة والتي عالج فيها كثير من مشكلات المجتمع وأوصى فيها الأمة بوصايا غالية توضح عظمة هذا الدين وعصمة هذا الشرع وشموله وعدالته فروى الإمام أحمد في مسنده من حديث علي بن زيد عن أبي حرة الرقاشي عن عمه قال : كنت آخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه و سلم في أوسط أيام التشريق أذود عنه الناس فقال يا أيها الناس أتدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم وفي أي بلد أنتم قالوا في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه ثم قال اسمعوا منى تعيشوا ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا ألا لا تظلموا إنه لا يحل مال امرئ إلا بطيب نفس منه ألا وإن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة وإن أول دم يوضع دم ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب كان مسترضعا في بنى ليث فقتلته هذيل ألا وإن كل ربا كان في الجاهلية موضوع وإن الله عز و جل قضى إن أول ربا يوضع ربا العباس بن عبد المطلب لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ثم قرأ { إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم } ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا أن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون ولكنه في التحريش بينكم فاتقوا الله عز و جل في النساء فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا وإن لهن عليكم ولكم عليهن حقا أن لا يوطئن فرشكم أحدا غيركم ولا يأذن في بيوتكم لأحد تكرهونه فإن خفتم نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح قال حميد قلت للحسن ما المبرح قال المؤثر ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله عز و جل ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وبسط يديه فقال ألا هل بلغت ألا هل بلغت ألا هل بلغت ثم قال ليبلغ الشاهد الغائب فإنه رب مبلغ أسعد من سامع قال حميد قال الحسن حين بلغ هذه الكلمة قد والله بلغوا أقواما كانوا أسعد به[39] .

6. تثبيت معاني الأخوة بين أفراد المجتمع ومحاربت كل ما يفسد الإخاء من نعرات قبلية وتعصبات عنصرية وتفاخر بالأحساب والأنساب والدعوة إلى التكافل بين الناس

ومن هذه النماذج أول خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَكُنْتُ فِيمَنْ انْجَفَلَ فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ يَقُولُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصِلُوا الْأَرْحَامَ وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ[40] .

---

[39] مسند الإمام أحمد 5 / 72 / 20714

[40] مسند الإمام أحمد 39 / 201 / 23784

المبحث السادس :
الحوار:(تعريفه ـ وحكمه ـ أهدافه ـ أنواعه ـ وآدابه)

تعريف الحوار :

الحوار في أصل اللغة مأخوذ من الفعل حار بمعنى رجع كما قال - تعالى -: {إنه ظن أن لن يحور}[41]، أي ظن أن يرجع إلى الدنيا ..

وقد ذكر الله - جل وعلا - في سورة الكهف قصة المتحاورين اللذين ذكر الله في شأنهما ما ذكر: {وكان له ثمرٍ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا}[42].

والحوار عند العلماء المتقدمين يسمونه الجدال، ويستدلون على ذلك بقوله - تعالى -: {قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما}[43]، فسمى ذلك الجدال حوارا.

الحوار حقيقة مجتمعية إنسانية ، فأينما وجد المجتمع البشري ، وجد الحوار ، لأن اللغة قاسم مشترك بين البشر ومن وظائف اللغة التعبير عن حاجات الإنسان البسيطة المتصلة بالحاجات الإنسانية من طعام ، وشراب وغيرهما ، أو في المستويات العليا من النقاش الفكري والديني والإجتماعي ، فالحوار حديث يدور بين إثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات وتوجد ألفاظ قريبة من الحوار منها: الجدال والمحاجة والمناظرة والمناقشة والمباحثة .

حكم الحوار :

---

[41] الإنشقاق الآية 14

[42] الكهف الآية 34

[43] المجادلة الآية 1

قال الشثري : موقف الإسلام من الجدال والحوار: إن بعض النصوص قد نهت عن شيء من الجدال والمراء، ومن ذلك ما ورد في الحديث النبوي من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقا)، وفي الحديث الآخر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ما أضل الله قوما بعد إذ هداهم إلا أوتوا الجدل)، ثم تلا قوله - جل وعلا -: {ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قومِ خصمون}.

فما هو الفاصل بين ما يكون جدالا مشروعا محمودا مرغبا فيه من الشرع، وبين ما يكون مراء محذورا ممنوعا في الشرع؟

نقول: إن الذي يلازم آداب الحوار والجدل ويراعي الأحكام الشرعية المتعلقة به يكون فعله محمودا ومرغبا فيه ومثابا عليه، ومن لم يكن كذلك ولم يراعي الآداب الشرعية وأحكام الحوار فإنه يكون مذموما ولهذا ينبغي أن يعرف الذين يريدون الحوار والجدال ما هي آداب هذا الحوار[44].

وقد جاءت شريعة الإسلام ببيان مشروعية الحوار والمجادلة وبيان أنهما وسيلة للدعوة إلى الله - جل وعلا - قال - سبحانه -: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن} [النحل: 125]. وقال - جل وعلا -: {قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين} [البقرة: 111]، وهذا فيه مجادلة ومحاورة.

ثم إن الله - عز وجل - قد حكى في كتابه العزيز من المحاورات مع الذين كانوا في عهد النبوة سواء كانوا من اليهود أو النصارى أو المشركين وترد على أفكارهم السيئة: {وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميمِ (78) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليمِ} [يس: 78 - 79]، كذلك كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحاور من في عصره سواء من أصحاب الديانات الأخرى كما في سورة آل عمران التي ذكر الله - سبحانه وتعالى - فيها محاورة النبي - صلى الله عليه وسلم - مع نصارى أهل نجران وكما في عدد من السور التي فيها بيان بعدد من المحاورات مع المنافقين وغيرهم.

ولم يقتصر النبي - صلى الله عليه وسلم - على محاورة أصحاب الديانات الأخرى، بل قد حاور أيضا بعض أهل الإسلام، الذين كانوا يسألون عن بعض الأمور التي تشكل عليهم مثل الرجل الذي جاءه يسأله أن يأذن له بالزنا، ناقشه الرسول وحاوره وبين له حتى أبعد الشبهة التي وردت على خاطره ونفسه.

وبعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - استمر أصحابه - رضي الله عنهم - على منهجه، فبدأوا يحاورون أصحاب الديانات الأخرى.. حاوروا الروم والفرس فدخل عدد كبير منهم - بالحكمة والأسلوب المقنع - في الإسلام، وحاوروا أصحاب الفرق التي عندها شيء من البدع والضلالات، ومن ذلك محاورة ابن عباس - رضي الله عنهما - للخوارج عندما خرج آلاف منهم على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فناقشهم ابن عباس وحاورهم وكشف شبههم حتى عادوا إلى سبيل الحق وطاعة أمير المؤمنين، وما زالت الأمة

---

[44] الخلاصة في أصول الحوار وآدابه

تنتهج هذا الأسلوب من المحاورات والمناقشات والمجادلات الفقهية حتى يتمكن العلماء من الوصول إلى الحق وبيان حكم الله - عز وجل - فيما يرد عليهم من المسائل والحوادث.

أهداف الحوار :

1. الدعوة إلى الإسلام, وعبادة الله وحده لا شريك له وهذا أسمى هدف "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ"[45] ومعرفة الله هي أعظم حقيقة وعبادته هي الحكمة من خلق البشر "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[46], ويترتب عليها سعادة البشرية في الدنيا والآخرة " فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى"[47].

ويدخل في ذلك إبراز محاسن الإسلام والرد على شبهات أعدائه وإيضاح الحقيقة العظيمة في الحكمة من خلق البشر وما يُراد منهم وما يراد بهم وما مصيرهم.

فالحوار مطلب إسلامي لكي نقوم بواجبنا تجاه الأمم الأخرى ليس لافادة أنفسنا فحسب بل لفائدة الأمم الأخرى أيضًا لنوصل إليها الخير الذي أمرنا به.

فالأمة الإسلامية هي صاحبة الرسالة الأخيرة, وعليها واجب البلاغ، قال تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"[48].

2. معرفة وجهات نظر الأطراف الأخرى حيال أمر معين
3. البحث من أجل الوصول إلى نتائج أفضل واستخدامها في حوارات أخرى
4. إيجاد حل وسطي يرضي جميع الأطراف المتحاورة
5. إقناع الطرف الآخر باستخدام أدلة واضحة
6. تعديل وتقويم الأفكار غير الصحيحة .
7. الوصول إلى اليقين الصحيح أو الحق في مسألة اجتهادية اختلفت فيها وجهات النظر مما ليس فيه نص ولا إجماع، أي: مسألة اجتهادية اختلفت فيها أقوال العلماء أو أقوال المجتهدين وأقوال المتحدثين، فتكلم اثنان في محاورة ومناظرة للوصول إلى الحق، والمسألة ليس فيها نص صريح، وليس فيها إجماع لا يجوز تعديه، ولكنها من المسائل الاجتهادية .

أقسام وأنواع الحوار :

يقسم الحوار بإعتبارات متعددة وكل بحسبه فينقسم الحوار بإعتبار الجهة المحاورة إلى نوعين :

1.حوار مع الذات :

وهو النوع الذي يقم فيه المحاور بمحاورة نفسه ومراجعت أفكاره وتصحيح مواقفه إعتمادا على جلسات النفس والإحساس الداخلي حيث يقوم فيها الإنسان بمراجعة نفسه والوقوف معها والتأمل فيها .

2. الحوار مع الآخر :

---

[45] فصلت الآية 33
[46] الزاريات الآية 56
[47] طة الآية 123 - 124
[48] آل عمران الآية 110

وقد يكون هذا الأخر يختلف معنا في أصل الإسلام والدين أو قد يكون متفق معنا في أصل الدين والإسلام مع اختلافنا في بعض الجزئيات والفرعيات مما يدعو للحوار بيننا

وينقسم الحوار من حيث الشكل إلي نوعين :

1.الحوار الشفهي :

يتم استخدام هذا النوع خلال التفاعلات اليومية وفي أغلب أمور الحياة ويكون في العادة متصف بالسرعة والحيوية ويستخدم الفرد في هذا الحوار مزيج من الحجج الخطابية والعاطفية والعقلية معا .

2. الحوار المكتوب :

ويسمى هذا النوع حوار المنطق فمن خلاله يتم استخدام العقل بطريقة جدلية وبالتالي يحتاج هذا النوع إلى مدة طولية لأنه يتم فيه نقاش أفكار وهذا يعني من المفضل عدم استخدام العاطفة خلال هذا النوع من الحوار .

وينقسيم الحوار من حيث الطابع إلى ثلاثة أنواع :

1.الحوار الهادئ:

يتسم هذا النوع بالهدوء لأن أفراده يكونون متفقين فيما بينهم في الرأي ويحظون بالقبول والرضا عن آراء بعضهم البعض .

2.الحوار الموضوعي :

يكون هذا النوع من الحوار بعكس الحوار الهادئ لأن الأفراد هنا ليهم وجهة نظر مختلفة عن بعضهم البعض ويعرض كل فرد من الأفراد وجهة نظره باستخدام الأدلة التي تدعم رأيه وفي نهاية الحوار وبعد عرض الأدلة يتم الإتفاق على رأي كان مصدر القبول من أغلب الأطراف .

3. الحوار المتشنج :

يسعى أفراد هذا النوع إلى اسكات الرأي الآخر وفرض رأيه عليه حتى لو كان هذا الرأي غير صحيح وغير منطقي ولا توجد لديه أدلة وبراهين وفي العادة ما ينتهي هذا النوع بخصومة بين المتحاورين .

آداب الحوار :

أصل التفريق بين الحوار المحمود والمشروع والحوار المذموم والممنوع هو التأدب بآداب الحوار فإذا فقد الحوار آدابه كان مذموما ولا يفضي إلى المقصود بل يغر الصدور ويفسد العلاقات بين الناس ويقود إلى النزاع والقتال والإفحتراب وقد قال النبي صلى اللع عليه وسلم : (أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المرآء وإن كان محقا)

آداب الحوار العامة التي تكون قبل بدأ الحوار :

1.إخلاص المحاورين النية لله تعالى:

الإخلاص وابتغاء وجه الله قبل الدخول في الحوار وأثناء الحوار وبعد الحوار وهذا يجعل المتحاورين يحرصون على تحقيق أكبر فائدة منه .

2. توفر العلم في المحاور :

قبل ان يدخل المحاور في القتال لابد ان يكون لديه العلم بموضوع المحاورة حتى في الحوار التعليمي .

3. صدق المحاور :

لابد من توفرهذا الأدب وهو الصدق وهذا الأدب له قيمته الكبيرة وأهميته العظيمة في نجاح المحاورة ونيل ثمرتها فعلى المحاور ان يكون صادقا في طلبه الحق صادقا في أقواله وفيما ينقل من نقولات وأدلة

4. الصبر والحلم :

إن البعض يضيق صدره بسرعة في المحاورة حتى وإن كان الطرف الآخر لا يخالفه في الرأي وهذا أمر خطير لأنه لا يتمكن من شرح أو توضيح وجهة نظره فضلا على انه لن يستطيع الدفاع عن نفسه ولذا يجب ان يتصف المحاور بالصبر والحلم .

5. الرحمة :

وهي رقة القلب وعطفه في الحوار وهذه الصف ة لها أهمية عظيمة فالمحاور حين يتصف بها تجد فيه إشفاقا على من يتحاور معه ميلا إلى إقناعه بالحسنى فهو لا يعد على خصمه الأخطاء للتشفي منه .

6.الاحترام :

إن إختلافات النظر مهما بلغت بين المتحاورين لا يمنع ذلك تبادل الإحترام بينهما والتقدير وإن الإحترام المتبادل يجعل الأطراف المتحاورة تقبل الحق .

7. التواضع :

وهذا من أعظم آداب الحوار والتواضع مطلوب في الحوار بشقيه فتعريف التواضع هو قبول الحق وعدم إزدراء الخلق فمطلوب من المحاور أن يقبل الحق إن ظهر على لسان محاوره وأن لا يزدريه ويتعالى عليه

آداب الحوار التي تكون أثناء الحوار :

1.ضبط النفس خلال المحاورة :

ولطبيع ةالمحاورة قد يحدث فيها ان يضعف طرف رأي الطرف الآخر ويقوم بتخطئته فعليه التحلي بضبط النفس وقبول النقد ورده بالعلمية وبالحجج والبراهين وبهدوء العلماء الواثقين فعدم ضبط النفس والهيجان أثناء الحوار دليل عدم الأدب وضعف الحجة .

2. البدء بنقاط الإتفاق :

هذا من الآداب المهمة ان تبدأ بنقاط الإتفاق قبل نقاط الخلاف مع تحديدها وحصرها وبهذا يكون المتحاوين قد وضعوا قاعدة مشتركة للإنطلاق منها وحصر النقاش في المختلف فيه .

3. تحديد المصطلاحات بدقة :

إن الحوار قد يحدث حول قضايا فيها بعض المصطلحات التي تحتاج إلى تحديد وتوضيح خاصة إذا كان استعمال المصطلح يدل على عدد من المعني فلا بد من تحديده بدقة .

4. التدرج في الحوار :

المحاور الذي يعرف ما يريد تجده في محاورته يتدرج في نقاط حتى يصل إلى حقيقة يسعى إليها وتكون مقنعة ومفهمة لمن يحاور

5. الإنصات التام وحسن الاستماع:

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل في نفوس الصحابة وأعظم من أن يلغوا إذا تحدث، أو ينشغلوا عنه إذا تكلم، أو يرفعوا أصواتهم بحضرته، وإنما كانوا يلقون إليه أسماعهم ويشهدون عقولهم وقلوبهم، ويحفزون ذاكرتهم فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في الحديث عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه قال: «... وإذا تكلم أطرق جلساؤه، كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا...»

6. ترك التنازع وعدم مقاطعة المتحدي حتى يفرغ:

وهذا من تمام الأدب، المفضي إلى ارتياح جميع الجالسين، وإقبال بعضهم على بعض، والمعين على سهولة الفهم، والتعلم ففي حديث علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - السابق في سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه، قال: (لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ، حديثهم عنده حديث أولهم..) أي أن من بدأ منهم الحديث والكلام

سكتوا حتى يفرغ أولاً من حديثه، ولم يقاطعوه أو ينازعوه، وبذلك يبقى المجلس على وقاره وهيبته، ولا تختلط فيه الأصوات، ولا يحصل أدنى تشويش

7. الالتزام بموضوع الحوار :

من آداب الحوار الإلتزام بموضوع الحوار وعدم الخروج عليه . وهذه مسألة منهجية وتنظيمية في غاية الأهمية ، وعدم الالتزام بها يؤدي إلى خلط المسائل ببعضها الآخر ، الأمر الذي يؤدي إلى عدم إنضاج أي منها بالبحث والمساءلة والمقارنة والتقويم والاستنتاج . ويمكن معالجة هذه الناحية بضبط أولويات الحوار جيداً ، وإقامة هيئة تحكيم لتضبط المتحاورين كلما جنحوا للخروج من إطار الموضوع .

8. مناقشة المسائل حسب أهميتها :

فليس من آداب الحوار تضخيم المسائل الفرعية على حساب المسائل الأصلية ، فإن كثيراً من المسائل الفرعية تنحل آلياً بمجرد مناقشة أصولها الكبرى ومصدر الاختلاف حولها .

9 . الإقبال على المحاور :

اتجه بجسمك كله لمن يتحدث لك، فإن لم يكن، فبوجهك على الأقل، لأن المتحدث يتضايق ويحس بأنك تهمله إن لم نتظر له أو تتجه له، وفي حادثة طريفة تؤكد هذا المعنى، كان طفل يحدث أباه المشغول في قراءة الجريدة، فذهب الطفل وأمسك رأس أبيه وأداره تجاهه وكلمه!!

المبحث السابع :

قواعد وأصول فن المناظرة والحوار

هنالك أصول وقواعد مهمة لفن المناظرة والحوار على المتحاوين أن يعرفوها وأن يتعلموها ويعملوا بها أذا أردنا نيل ثمرات الحوار والوصول إلى غاياته وأهدافه السامية

الأصل الأول : الوصول إلى الحق :

فلا بد من التجرد في طلب الحق ، والحذر من التعصب والهوى ، وإظهار الغلبة والمجادلة بالباطل .

يقول الإمام الغزالي عند ذكره لعلامات طلب الحق : "أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة ، لا يفرّق بين أن تظهر الضالة على يده ، أو على يد من يعاونه ، ويرى رفيقه معينًا لا خصمًا ، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق"[49]

الأصل الثاني : تحديد هدف الحوار :

تحديد الهدف والقضية التي يدور حولها الحوار ، فإن كثيرًا من الحوارات تتحول إلى جدل عقيم سائب ليس له نقطة محددة ينتهي إليها .

[49] إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، سنة الولادة 450/ سنة الوفاة 505 ، الناشر دار االمعرفة ـ بيروت 1 / 57

الأصل الثالث : الاتفاق على أصل يرجع إليه :

والمرجعية العليا عند كل مسلم هي : الكتاب والسنة ، والضوابط المنهجية في فهم الكتاب والسنة . وقد أمر الله بالرد إليهما فقال سبحانه: { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ }[50] .

فالاتفاق على منهج النظر والاستدلال قبل البدء في أي نقاش علمي يضبط مسار الحوار ويوجهه نحو النجاح ، إذ إن الاختلاف في المنهج سيؤدي إلى الدوران في حلقة مفرغة لا حصر لها ولا ضابط .

الأصل الرابع : عدم مناقشة الفرع قبل الاتفاق على الأصل:

فلا بد من البدء بالأهم من الأصول وضبطها والاتفاق عليها ، ومن ثم الانطلاق منها لمناقشة الفروع والحوار حولها .

الأصل الخامس : سلوك الطرق العلمية والتزامها ، ومن هذه الطرق :

1- تقديم الأدلة المُثبِتة أو المرجّحة للدعوى .

2- صحة تقديم النقل في الأمور المنقولة .

وفي هذين الطريقين جاءت القاعدة الحوارية المشهورة : (إن كنت ناقلاً فالصحة ، وإن كنت مدَّعياً فالدليل) .

وفي التنزيل جاء قوله سبحانه : { قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }[51] وفي أكثر من سورة { قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي } (الانبياء:24) . { قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }[52] .

الأصل السادس : سلامة كلامِ المناظر ودليله من التناقض :

فالمتناقض ساقط بداهة ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره بعض أهل التفسير من :

1- وصف فرعون لموسى عليه السلام بقوله : { سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ }[53] .

وهو وصف قاله الكفار - لكثير من الأنبياء بما فيهم كفار الجاهلية - لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - . وهذان الوصفان السحر والجنون لا يجتمعان ، لأن الشأن في الساحر العقل والفطنة والذكاء ، أما المجنون فلا عقل معه البته ، وهذا منهم تهافت وتناقض بيّن .

---

[50] النساء الآية 59

[51] البقرة الآية 111

[52] آل عمران الآية 93

[53] الذاريات الآية 39

2- نعت كفار قريش لآيات محمد - صلى الله عليه وسلم - بأنها سحر مستمر ، كما في قوله تعالى : { وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ }[54].
وهو تناقض ؛ فالسحر لا يكون مستمراً ، والمستمر لا يكون سحراً .

الأصل السابع : ألا يكون الدليل هو عين الدعوى:

لأنه إذا كان كذلك لم يكن دليلاً ، ولكنه إعادة للدعوى بألفاظ وصيغ أخرى . وعند بعض المُحاورين من البراعة في تزويق الألفاظ وزخرفتها ما يوهم بأنه يُورد دليلاً . وواقع الحال أنه إعادة للدعوى بلفظ مُغاير ، وهذا تحايل في أصول لإطالة النقاش من غير فائدة .

الأصل الثامن : أهلية المحاور :

إذا كان من الحق ألا يمنع صاحب الحق عن حقه ، فمن الحق ألا يعطى هذا الحق لمن لا يستحقه ، كما أن من الحكمة والعقل والأدب في الرجل ألا يعترض على ما ليس له أهلاً ، ولا يدخل فيما ليس هو فيه كفؤاً .
من الخطأ أن يتصدى للدفاع عن الحق من كان على الباطل .
من الخطأ أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يعرف الحق .
من الخطأ أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يجيد الدفاع عن الحق .
من الخطأ أن يتصدى للدفاع عن الحق من لا يدرك مسالك الباطل .
إذن ، فليس كل أحد مؤهلاً للدخول في حوار صحي صحيح يؤتي ثماراً يانعة ونتائج طيبة .
والذي يجمع لك كل ذلك : (العلم) ؛ فلا بد من التأهيل العلمي للمُحاور ، ويقصد بذلك التأهيل العلمي المختص .
إن الجاهل بالشيء ليس كفؤاً للعالم به ، ومن لا يعلم لا يجوز أن يجادل من يعلم ، وقد قرر هذه الحقيقة إبراهيم عليه السلام في محاجَّته لأبيه حين قال :{ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً}[55].
وإن من البلاء ؛ أن يقوم غير مختص ليعترض على مختص ؛ فيُخَطِّئه ويُغَلِّطه .
وإن حق من لا يعلم أن يسأل ويتفهم ، لا أن يعترض ويجادل بغير علم ، وقد قال موسى عليه السلام للعبد الصالح :
{ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً }[56].
فالمستحسن من غير المختص ؛ أن يسأل ويستفسر ، ويفكر ويتعلم ويتتلمذ ويقف موقف موسى مع العبد الصالح .
وكثير من الحوارات غير المنتجة مردُّها إلى عدم التكافؤ بين المتحاورين ، ولقد قال الشافعي رحمه الله : (ما جادلت عالماً إلا وغلبته ، وما جادلني جاهل إلا غلبني !) . وهذا التهكم من الشافعي رحمه الله يشير إلى الجدال العقيم ؛ الذي يجري بين غير المتكافئين .

الأصل التاسع : الرضا والقبول بنتائج المناظرة والحوار :

---

[54] القمر الآية 2
[55] مريم الآية 43
[56] الكهف الآية 66

على المتحاورين أن يقبلوا بالنتائج التي يتوصل إليها المتحاورون وان يلتزموا بها الالتزام الجادّ ، وبما يترتب عليها .
وإذا لم يتحقق هذا الأصل كانت المناظرة ضرباً من العبث الذي يتنزه عنه العقلاء يقول ابن عقيل : (وليقبل كل واحد منهما من صاحبه الحجة ؛ فإنه أنبل لقدره ، وأعون على إدراك الحق وسلوك سبيل الصدق .
قال الشافعي رضي الله عنه : ما ناظرت أحداً فقبل مني الحجَّة إلا عظم في عيني ، ولا ردَّها إلا سقط في عيني) ، ومن لطائف التوجيهات الإلهية لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في هذا الباب ، الانصراف عن التعنيف في الردّ على أهل الباطل ، حيث قال الله لنبيه : { وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) (68) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }[57] .
وقوله : { وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ }(سبأ:24) . مع أن بطلانهم ظاهر ، وحجتهم داحضة .
ويلحق بهذا الأصل : تجنب أسلوب التحدي والتعسف في الحديث ، ويعتمد إيقاع الخصم في الإحراج ، ولو كانت الحجة بينه والدليل دامغاً .. فإن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف . وقد تُفْحِم الخصم ولكنك لا تقنعه ، وقد تُسْكِته بحجة ولكنك لا تكسب تسليمه وإذعانه ، وأسلوب التحدي يمنع التسليم ، ولو وُجِدَت القناعة العقلية . والحرص على القلوب واستلال السخائم أهم وأولى عند المنصف العاقل من استكثار الأعداء واستكفاء الإناء . وإنك لتعلم أن إغلاظ القول ، ورفع الصوت ، وانتفاخ الأوداج ، لا يولِّد إلا غيظاً وحقداً وحَنَقاً . ومن أجل هذا فليحرص المحاور ؛ ألا يرفع صوته أكثر من الحاجة فهذا رعونة وإيذاء للنفس وللغير ، ورفع الصوت لا يقوّي حجة ولا يجلب دليلاً ولا يقيم برهاناً ؛ بل إن صاحب الصوت العالي لم يَعْلُ صوته - في الغالب - إلا لضعف حجته وقلة بضاعته ، فيستر عجزه بالصراخ ويواري ضعفه بالعويل . وهدوء الصوت عنوان العقل والاتزان ، والفكر المنظم والنقد الموضوعي ، والثقة الواثقة .

[57] الحج الآية 68 - 69

المبحث الثامن :

أهمية الأدب والأخلاق في حياة المسلم وأثر الخطيب في تعزيز الأخلاق الحميدة في المجتمع

للأخلاق في الإسلام مكانة عالية، لأنه دين الأخلاق الحميدة والآداب الرفيعة، وقد مدح القرآن الكريم خلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: " وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ "[58]، وقد بين رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكانة حسن الخلق بقوله: " الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ "[59] فجعل جميع خصال الخير في الالتزام بالأخلاق الحسنة. ولأهمية الأخلاق أيضا فقد عدها الدين ركن من أركانه لا يقوم إلا به ، ولذلك نجد أن من أهم ما يميزها أن مصدرها " الوحى " فهى قيم ثابته ومثل عليا تصلح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه وزمانه ومكانه ونوعه ، وأنها أخلاق عملية هدفها التطبيق الواقعى وأن مصدر الإلزام فيها هو شعور الإنسان بمراقبة الله تعالى ولذلك يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال : " تقوى الله وحسن الخلق "[60]

ولقد جاءت أحكام الأخلاق وتكاليفها على أقسام ثلاثة : حقوق إلهية تتمثل بما يجب علينا من الإيمان بالله وطاعة أوامره ، وحقوق شخصية تتمثل بحقوق التملك والتصرف ضمن حدود الأخلاق ، وحقوق جماعية تتمثل بحقوق التعاون والدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ...

وإن كان لا يقبل سوء الخلق من آحاد الناس فكيف بمن هم في مقام القدوة لغيرهم كالخطيب والواعظ.

ويشتمل حسن الخلق على الصفات الكريمة والأخلاق الحميدة وهي كثيرة منها:

الحكمة:

وتعنى وضع الشيء في مكانه المناسب، ونجد أهمية الحكمة للخطيب والواعظ في قول الله تعالى عن سيدنا داود عليه السلام: " وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ "[61].

الصدق:

إن كان الإيمان لا يجتمع مع الكذب فهل يصلح للخطابة والوعظ من لا يتحلى بالصدق.

ونلمس مدح الصادقين في حديث: إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا... "[62].

الحلم:

وهو يؤدي إلى عدم التسرع و سعة الصدر والعفو عن المسيئين في حدود رضى الله تعالى، يقول الحق سبحانه وتعالى: "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ "[63]. وقد

---

[58] القلم الآية 4

[59] صحيح مسلم 8 / 6 / 6680

[60] مسند الإمام أحمد 15 / 435 / 9696

[61] ص الآية 20

[62] صحيح البخاري 15 / 314 / 6094

[63] المؤمنون الآية 96

مد ح النبي صلى الله عليه وسلم صفة الحلم في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: " إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ "[64].

التواضع:

وهذا الخلق يجعلك تتصف بصفات اللين والرحمة والشفقة على المساكين والضعفاء، فتصبح رقيق القلب. وقد شجع القرآن الكريم على هذه الخاصية فنجد ذلك في قول الله تعالى: " وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ "[65]. وغير هذه الخصائص كثير.

أهم ما يميز الأخلاق الإسلامية الآتى :

1- أن مصدرها " الوحى " : ولذلك فهى قيم ثابتة ومثل عليا تصلح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه وزمانه ومكانه ونوعه . يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً " [66] .

2- أن الأخلاق الإسلامية أخلاق عملية : هدفها التطبيق الواقعي ، وبيان طرق التحلي بها . يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لعبد الله بن عمر - رضي الله عنه - : " أربع إذ كن فيك فما عليك ما فاتك من الدنيا : حفظ أمانة ، وصدق حديث ، وحسن خليقة ، وعفة فى طعمة "[67]

3- مصدر الإلزام فى الأخلاق الإسلامية هو شعور الإنسان بمراقبة الله تعالى . فقد سئل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : " تقوى الله وحسن الخلق "[68]

وروى الطبراني عن علي رضي الله عنه مرفوعاً : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الأُمُورِ وأَشْرَافَهَا ، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا "[69].

4- لا تحكم على الأفعال بظاهرها فقط ولكن تمتد إلى النوايا والمقاصد والبواعث التى تحرك هذه الأفعال الظاهرة يقول - صلى الله عليه وسلم - : " إنما الأعمال بالنيات "[70]

5- مبادئها تقنع العقل وترضى القلب والوجدان ، فما من نهى شرعي إلا معه مسوغات ودوافع تحريمه يقول سبحانه : (وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً)[71] (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

---

[64] صحيح مسلم 1 / 36 / 126

[65] الشعراء الآية 215

[66] صحيح مسلم 7 / 78 / 6177

[67] مسند الإمام أحمد 2 / 177 / 6652

[68] مسند الإمام أحمد 2 / 442 / 9694

[69] المعجم الكبير المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الناشر : مكتبة العلوم والحكم – الموصل الطبعة الثانية ، 1404 – 1983 تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي 3/ 214 / 2826

[70] صحيح البخاري 1 / 1 / 1

[71] الإسراء الآية 32

تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ)[72] وكذلك الأخلاق الإسلامية تقبلها الفطرة السليمة ولا يرفضها العقل .

5. الأخلاق فى الإسلام تعتمد على أهداف العقيدة الإسلامية باعتبار أن العقيدة الإيمانية معيار توزن عليه الأعمال والأقوال وكافة التصرفات ، لحفظ كرامة الإنسان وصيانته وتحقيق سعادته فى حياته الدنيا والآخرة

والأخلاق الإسلامية لا تصدر عن مصلحة مؤقته ذاتية ، ولما كانت الأخلاق تعتمد على أصل الشعور بها عند الإنسان ، بحيث يترجم عنها فى صورة أفعال أو انفعال أو لفظ ، فإن الإسلام يجعل الإنسان الأساس الذى تقوم عليه الأخلاق ، وهذه الأخلاق تهدف إلى تحقيق كرامة الإنسان بمراعاة طبيعته ، وقدراته ، وما سخر له فى السموات والأرض ، وبما أنزل عليه من كتب وما أرسل إليه من رسل ، وبذا تتحقق كرامة الإنسان ، ويتهيأ بها للعمل الصالح المحكوم بسياج العقيدة الصحيحة

ولذلك كانت المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية تنحصر كلها فى حفظ حياة الإنسان وهى : المحافظة على الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال ، وجاءت الشريعة بوسائل للحفاظ عليها حسب أهميتها وتتمثل فى الحفاظ على الضروريات ، والحاجيات، والتحسينات والهدف من ذلك كله أن يعرف الإنسان الغاية من خلقه وهى معرفة الله عز وجل ولزوم موقف العبودية له حيث ينال بذلك الخلود فى جناته وظل مرضاته وهذه هى رابطة الحياة الآخرة بالدنيا

ولما كان للأخلاق من علاقة وطيدة مع جانب العقيدة فقد ربط الله تعالى الإيمان بحسن الخلق فقال سبحانه : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ)[73] وسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أى المؤمنين أفضل إيماناً ؟ قال : " أحسنهم خلقاً "[74] وقال - صلى الله عليه وسلم - : " البر حسن الخلق "[75] فالبر صفة للعمل الأخلاقي وهو اسم جامع لأنواع الخير .

أثر الخطابة والوعظ في تعزيز الأخلاق الكريمة :

يجب على الخطيب والواعظ أن يبثا في الناس أخلاق الإسلام كلها مع التركيز على ما ينفعهم في دنياهم وأخراهم وما يحتاجون إليه دائماً مع ما في الالتزام بها من مشقة، بحيث يقتنعهم بأن هذه الأخلاق فيها خير كثير لهم ، فقد أخذ بهذه الأخلاق المسلمون الأوائل فأصبحوا سادة الدنيا، واليوم يسبقنا غير المسلمين - مع أننا أولى منهم بالتمسك بها - بسبب التزامهم بهذه الأخلاق الكريمة، ومنها:

التعاون:

---

[72] المائدة الآية 90

[73] البقرة الآية 177

[74] مصنف عبد الرزاق ، المؤلف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ،الطبعة الثانية ، 1403 ،تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي 3/ 72 / 4843

[75] صحيح مسلم 8 / 6 / 6680

يحث الإسلام على تعاون المسلمين بينهم لأهمية ذلك على تيسير حياتهم بعد رضوان ربهم عليهم، وللنظر إلى حديث: " تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "[76].

مساعدة الآخرين:

المسلم الحقيقي يحب مساعدة الآخرين، ويسعي دائماً لما فيه مصلحتهم بعد مصلحة الإسلام. ونجد ذلك في توجيهات السنّة النبوية في الحديث: جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وفيه يَقُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "... مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ "[77]. وبالإجمال يدعوا الوعاظ إلى بر الوالدين، وصلة الأرحام، والمحافظة على الجيران وحفظ أسرارهم، والكثير مما يدخل في تزكية النفس ومحاسبتها وتطهيرها.

ومن المهم جدا إلتزام الخطيب بما يدعو له إن التزام الخطيب ينعكس إيجاباً على كلامه والعكس صحيح، فما لم يكن هو ملتزماً بالفضائل والأخلاق الكريمة، مجتنباً لكل ما يدخل في سوء الأخلاق فإن كلماته ستصب غالباً في خانة عدم القبول بل سيكون فتنة للآخرين يحتجون بفعله على عدم صلاح الفكرة التي يدعوا إليها وربما يرفضها البعض لأجله هو. فمثلًا: ما معنى أن يدعو الخطيب للمحافظة على الجماعة؟ وهو لا يفعل ذلك، أو يأمر بصلة الرحم وهو قاطع لرحمه، أو يدعو للتسامح وهو حاقد، وما معنى أن ينهى عن الربا، والناس يعلمون أنه يتعامل به. أو يأمر النساء بالستر والحجاب وأسرته على غير ذلك. ولقد روي أن الإمام الحسن البصري ظل سنين لا يخطب عن الزكاة لأنه لا يملك ما يزكيه حتى إذا ملك زكّى وصعد المنبر وخطب عن الزكاة . وخلاصة الكلام أن على الخطيب والواعظ حسن المعاملة والصبر على الآخرين والاستغناء عما في أيديهم. كما لا ننسى ما استجد من أخلاق وآداب عصرية ترتبط بالتطور العلمي، مثل: استخدام الجوال ...إلخ.

---

[76] صحيح البخاري 15 / 194 / 6011

[77] صحيح مسلم 7 / 18 / 5857

المبحث العاشر :

الخلاف : (تعريفه ـ ضوابطه ـ أسبابه ـ آدابه)

تعريف الخلاف:

الخلاف في اللغة والاختلاف والمخالفة بمعنًى واحد ، قال في المصباح المنير: " خالفته مخالفة وخلافًا وتخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحدٍ إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر ، وهو ضد الاتفاق "[78] ولا يختلف المعنى الشرعي للخلاف عن المعنى اللغوي ، إلا أنه مقصور على الاختلاف في المسائل الشرعية ، فالعلاقة بين المعنيين هي علاقة عموم وخصوص مطلق ، ذلك أن علماء الشريعة يطلقون الخلاف على المسائل الشرعية التي لم يجمع عليها ، فالخلاف ضد الإجماع .

ونعني بالخلاف هنا ما هو أشمل من الخلاف في المسائل الفقهية الاجتهادية ، فيدخل في ذلك المخالفة في المسائل الاعتقادية ، كما في قوله تعالى : { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ }[79]

قواعد الخلاف وضوابطه :

القاعدة الأولى الاختلاف منه ما هو مذموم ومنه ما هو محمود :

النوع الأول : الاختلاف المذموم

ويكون في حالات الآتية :

الحال الأولى: الاختلاف في مسائل العقيدة المتفق عليها عند أهل السنة والجماعة : فهذا اختلاف مذموم لأن العقيدة ثابتة بنصوص قطعية في الكتاب والسنة وقد أجمع عليها الصحابة فلا يصح أن يكون فيها اختلاف بين المسلمين .

الحال الثانية : الاختلاف في الأدلة القطعية :

---

[78] المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري ، الناشر: المكتبة العصرية ، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد 1 / 95

[79] آل عمران الآية 105

والمقصود بها المسائل التي تكون قطعية الثبوت وقطعية الدلالة ، مثل وجوب الصلاة والصيام والزكاة ، وقطع يد السارق ، ورجم الزاني ، ووجوب الحجاب وتحريم الخمر ، ونحو ذلك .
فالاختلاف في هذه المسائل غير سائغ لأنه لو قبل الخلاف فيها لما بقي شيء من مسائل الدين إلا وأصبح قابلًا للأخذ والرد .
الحال الثالثة : الاختلاف الناشئ عن تعصبٍ أو هوى لا عن حجةٍ وبرهان :
فقد ذم الله تعالى الذين يجادلون في آياته بغير حجة ولا برهان ، فقال سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ }[80] .
وقوله :"سلطان " أي حجة وبرهان .
الحال الرابعة : مخالفة ما أجمعت عليه الأمة :
ففي هذه الحالات الأربع يكون الاختلاف مذمومًا ، وهو ما يطلق عليه الشارع الافتراق ، كما في حديث الافتراق المشهور الذي رواه عوف بن مالك رضي الله عنه وغيره من الصحابة قال : قال صلى الله عليه وسلم : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وإحدى وسبعون فرقة في النار . والذي نفسي بيده لتفترقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قيل من هم يا رسول الله ، قال الجماعة »[81] وفي رواية قال : « من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » ، وفي رواية قال : « هم السواد الأعظم » .

والمتأمل في هذا الحديث يلحظ الفارق بين فقه الصحابة وفقه من بعدهم ، فالصحابة رضوان الله عليهم كانت عنايتهم بمعرفة الفرقة الناجية وصفاتها للتشبه بها ، ولهذا سألوا النبي عن صفة تلك الفرقة ، وكان السائل عمر بن الخطاب كما جاء مصرحًا به في رواية جابر ، أما من بعدهم فقد شغلوا بالفرق الهالكة ، والعلم بالفرق المنحرفة أمر مطلوب شرعًا ، ولذلك كان حذيفة - رضي الله عنه - يقول: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه .
ويقول الشاعر:
عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه
إلا أن الواجب على المسلم أن يعرف من طرق أهل الضلال الأصول التي ينطلقون منها والمناهج التي يسلكونها ومعرفة أسباب زيغها وانحرافها والرد عليها وبيان فسادها أما التعمق في أقاويلها وتفصيلاتها والفروق الدقيقة بينها فلم يُكلفنا الله به .

---

[80] غافر الآية 56
[81] مسند الإمام أحمد 28 / 135 / 16937

وهنا نأتي إلى مسألة هامة تتعلق بهذا الحديث ، قد اتخذها بعض الضالين متكئًا للتكفير ، وإخراج جميع المخالفين عن الملة ، وهي :
هل هذه الفرق المذكورة في الحديث كافرة أو لا؟ .
للإجابة عن هذا السؤال لا بد من بيان عدة أمور :
أولًا: المراد بقوله عليه الصلاة والسلام: « وستفترق هذه الأمة » هنا أمة الإجابة لا أمة الدعوة ، ففرق اليهود والنصارى لا تدخل في عد هذه الفرق .
ثانيًا: قوله عليه الصلاة والسلام: « كلها في النار إلا واحدة » ، هذه الجملة دليل على أن هذه الفرق ضالة مجانبة للحق ومستحقة للوعيد بالنار وهذا لا خلاف فيه بين أهل العلم .
ثالثًا: الحديث لا دلالة فيه على التكفير أو أن هذه الفرق مخلدة في النار لأن الوعيد بالنار لا يقتضي الخلود فيها ، فالكلام في البدع كالكلام في الكبائر وقد توعد النبي صلى الله عليه وسلم بالنار على كثير من الذنوب التي لا يختلف أهل الحق على عدم التكفير بمجردها كالقتل وإباق العبد من مواليه المسلم والرغبة عن الآباء .
ومما يؤيد ذلك : أنه عليه الصلاة والسلام جعل هذه الفرق من الأمة حيث قال: « ستفترق أُمتي على ثلاث وسبعين فرقة » فجعل الاثنتين وسبعين فرقة من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وهذا يعني أنهم مسلمون في الجملة ، والأصل أن المسلم باقٍ على إسلامه فلا يخرج منه إلا بيقين .
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وكذلك سائر الاثنتين وسبعين فرقة من كان منهم منافقًا فهو كافر في الباطن ، ومن لم يكن منافقًا بل كان مؤمنًا بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافرًا في الباطن وإن أخطأ في التأويل كائنًا ما كان خطؤه . وقد يكون في بعضهم شعبة من شُعب النفاق ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار . ومن قال : إن الاثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يُكفر كفرًا ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم ، بل إجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة فليس منهم من كفر كل واحد من الاثنتين وسبعين فرقة وإنما يكفر بعضهم بعضا ببعض المقالات "[82]

النوع الثاني من الاختلاف : الاختلاف المحمود :

وهو الاختلاف في المسائل الظنية ، مثل الاختلاف في وقوع طلاق الثلاث واحدة ، والقنوت في صلاة الفجر ، ورفع اليدين في الصلاة ، وما يجب تغطيته من المرأة ، ونحو ذلك .
فمثل هذه المسائل يسوغ فيها الخلاف إذا لم يكن عن تعصب وهوى وإنما عن اجتهاد وتحرٍ لقوله عليه الصلاة والسلام: « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله

---

[82] مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ، الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م ، المحقق : أنور الباز - عامر الجزار 7 / 218

أجرٌ واحد »[83] ، وقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة رضوان الله عليهم على اختلافهم في الاجتهاد في صلاة العصر في غزوة بني قريظة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"ما تنازعوا فيه مما أقروا عليه وساغ لهم العمل به من اجتهاد العلماء والمشايخ والأمراء والملوك كاجتهاد الصحابة في قطع اللينة وتركها : واجتهادهم في صلاة العصر لما بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة وأمرهم أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة فصلى قوم في الطريق في الوقت وقالوا : إنما أراد التعجل لا تفويت الصلاة . وأخرها قوم إلى أن وصلوا وصلوها بعد الوقت تمسكا بظاهر لفظ العموم فلم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم واحدة من الطائفتين . . . وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها ; على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة وغير ذلك وحكم عمر أول عام في الفريضة الحمارية بعدم التشريك وفي العام الثاني بالتشريك في واقعة مثل الأولى ولما سئل عن ذلك قال: تلك على ما قضينا وهذه على ما نقضي . وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة ودل الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم . وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية كسماع الميت صوت الحي وتعذيب الميت ببكاء أهله ورؤية محمد صلى الله عليه وسلم
ربه قبل الموت مع بقاء الجماعة والألفة . . . ومذهب أهل السنة والجماعة أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ"[84]

القاعدة الثانية الافتراق سنة كونية ودفعه فريضة شرعية:

فمما كتبه الله - تعالى - على الأمة الإسلامية أنها ستفترق وتختلف كما اختلفت الأمم من قبلها ، وهذا الافتراق هو حكم كوني يقول تعالى : { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ }[85]
وقد اختلف المفسرون إلى أي شيء يعود اسم الإشارة في قوله: { وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } ، فمنهم من قال : إنه يعود إلى الاختلاف أي : خلقهم ليختلفوا وذهب إلى هذا الحسن البصري ، وذهب بعض المفسرين ومنهم عطاء إلى أن اسم الإشارة يعود إلى الرحمة أي خلقهم ليرحمهم ، وبعضهم قال : اسم الإشارة يعود إلى الاثنين معًا ، أي خلقهم ليختلفوا وليرحم من سلك الصراط المستقيم وممن ذهب إلى هذا القول ابن جرير الطبري وابن كثير والشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله .

---

[83] المنتقى من السنن المسندة ، عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري ،الناشر : مؤسسة الكتاب الثقافية – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1408 – 1988 ، تحقيق : عبدالله عمر البارودي 1 /249 / 996

[84] مجموع الفتاوى لابن تيمية 19 / 122

[85] هود الآية 118 - 119

يقول ابن سعدي :" يُخبر الله - تعالى - أنه لو شاء لجعل الناس أُمة واحدة على الدين الإسلامي فإن مشيئته غير قاصرة ولا يمتنع عليه شيء ولكنه اقتضت حكمته ألا يزالوا مختلفين مخالفين للصراط المستقيم متّبعين للسبل الموصلة إلى النار كلٌّ يرى الحق فيما قاله والضلالة في قول غيره ، وقوله سبحانه: { إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ } ، فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به والاتفاق عليه ، فهؤلاء سبقت لهم سابقة السعادة وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي ، وأما من عداهم فهم مخذولون موْكولون إلى أنفسهم ، وقوله سبحانه: { وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } ، قال : أي اقتضت حكمته أنه خلقهم ليكون منهم السعداء والأشقياء والمتفقون والمختلفون والفريق الذي هدى الله والفريق الذي حقت عليهم الضلالة ليتبين للعباد عدله وحكمته وليظهر ما كمن من الطباع البشرية من الخير والشر ولتقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء "

وبعضهم يتكئ على هذه السنة الكونية لرد أي محاولة لجمع الكلمة وتوحيد صف المسلمين ، بحجة أن الاختلاف سنة كونية لا يمكن ردها ، وهذا من الخطأ في فهم النصوص فإنه لا تعارض بين حكم الله الكوني وحكمه الشرعي ، فهو قد قدر الاختلاف بحكمه الكوني ، ونهى عنه بحكمه الشرعي ، يقول تعالى : { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[86].

القاعدة الثالثة الحق يقبل من أي جهة جاء:

الحق يقبل لكونه موافقًا للدليل ، فلا أثر للمتكلم به في قبوله أو رفضه ؛ ولهذا كان أهل السنة يقبلون ما عند جميع الطوائف من الحق ، ويردون ما عندها من الباطل ، بغض النظر عن الموالي منها أو المعادي .

قال تعالى: { فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }[87] .

وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : " . . . « اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »[88]

قال ابن القيم رحمه الله: فمن هداه الله - سبحانه - إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان ، ولو كان مع من يبغضه ويعاديه ، ورد الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه ، فهو ممن هدى الله لما اختُلف فيه من الحق .

وقال تعالى: { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى }[89] ، ومن العدل فيهم قبول ما عندهم من الحق .

وهكذا أدبنا القرآن الكريم حين ساق كلام بلقيس- وقت كفرها - ثم وافقها عليه ؛ قال تعالى- حكاية عنها-: { قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً } قال الله تعالى: { وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ }[90].

---

[86] آل عمران الآية 105

[87] البقرة الآية 213

[88] صحيح مسلم 2 / 185 / 1847

[89] المائدة الآية 8

ولما دلّ الشيطان أبا هريرة - رضي الله عنه - إلى آية الكرسي لتكون له حرزًا من الشيطان ، وذلك مقابل فكه من الأسر ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أما إنه قد صدقك وهو كذوب »[91]

وقد قبل عليه الصلاة والسلام الحق من بعض اليهود ففي سنن النسائي عن قتيلة - امرأة من جهينة - « أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنكم تنددون وإنكم تشركون تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقولون ما شاء الله ثم شئت »[92] .

بل يقبل الحق وإن جاء على لسان البهائم ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت : إني لم أخلق لهذا ولكني إنما خلقت للحرث فقال الناس : سبحان الله تعجبا وفزعا أبقرة تكلم ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإني أومن به وأبو بكر وعمر » [93] قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى استنقذها منه فالتفت إليه الذئب فقال له من لها يوم السبع يوم ليس لها راع غيري فقال الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر »[94] .

وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: اقبلوا الحق من كل من جاء به ، وإن كان كافرًا-أو قال فاجرًا- واحذروا زيغة الحكيم ، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول كلمة الحق؟ قال: إن على الحق نورًا[95] .

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ولكنّ الحق يقبل من كل من تكلم به "[96] ولا شك أن رسوخ مثل هذه المعاني في أذهان المسلمين من أكبر الدوافع إلى الإذعان للحق والرضوخ له مهما كان قائله ، ويجعل المسلم مستسلمًا للحق دومًا ، قابلًا له ، وهذا من شأنه أن يقضي على التعصب المقيت الذي يحمل صاحبه إلى المنابذة والإصرار على الباطل ، لا لشيءٍ إلا لأن القائل بالحق ليس من جماعته أو حزبه أو لربما بلده ، وهذا هو عين الإرهاب الفكري حيث يصبح المرء أحادي النظرة ، نابذًا لآراء جميع مخالفيه ، غير مستعدٍ لأن يتمعن في مقولتهم فضلًا عن أن يقبلها .

إن من شأن التربية القرآنية أن تزيل كل الحواجز التي تقف بين المسلم وقبول الحق ، فإن قبول الحق متى بان خير من التمادي في الباطل ، ولا غضاضة ولا منقصة عليه في ذلك ،

---

[90] النمل الآية 34

[91] صحيح البخاري 6 / 17 / 2311

[92] المجتبى من السنن ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة الثانية ، 1406 – 1986 ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة 7 / 6 / 4774

[93] صحيح الإمام مسلم 7 / 110 / 6334

[94] صحيح البخاري 9 / 198 / 3669 وصحيح مسلم 4 / 1857 / 2388

[95] أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات ، مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي ، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1406 ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط 1 / 231

[96] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية 5 / 101

فإذا كان سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه قد قبل ذلك الحق من اليهودي ، فكيف بآحاد المسلمين ممن يلوح له الحق على لسان من هو خير من ذلك اليهودي .

القاعدة الرابعة وجوب عرض أقوال الناس على الشرع:

ما يقوله سائر الناس من الكلام في المطالب الشرعية لا بد من عرضه على الكتاب والسنة ، فإن وافق الكتاب والسنة فهو حق يقبل ، وإن خالفها فهو باطل يرد .

ولهذا كان الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ينهون أتباعهم عن تقليدهم في كل شيء ، يقول أبو حنيفة : إذا خالف الحديث قولي فاضرب بقولي عرض الحائط ، ويقول مالك : كل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ، يقصد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقول الشافعي : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، ويقول أحمد : لا تقلدني ولا تقلدن أبا حنيفة ولا مالكًا ولا الشافعي وخذ من حيث أخذوا .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " ذم الله - تعالى - في القرآن من عدل عن اتباع الرسل إلى ما نشأ عليه من دين آبائه وهذا هو التقليد الذي حرمه الله ورسوله وهو : أن يتبع غير الرسول فيما خالف فيه الرسول وهذا حرام باتفاق المسلمين على كل أحد ; فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والرسول طاعته فرض على كل أحد من الخاصة والعامة في كل وقت وكل مكان ; في سره وعلانيته وفي جميع أحواله ، وهذا من الإيمان قال الله تعالى : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }[97]

وقال : { إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا }[98]

وقال : { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ }[99]

وقال : { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }[100]

وقال : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ }[101].

وقد أوجب الله طاعة الرسول على جميع الناس في قريب من أربعين موضعا من القرآن وطاعته طاعة لله : وهي : عبادة الله وحده لا شريك له وذلك هو دين الله وهو الإسلام وكل من أمر الله بطاعته من عالم وأمير ووالد وزوج ; فلأن طاعته طاعة لله ، وإلا فإذا أمر بخلاف طاعة الله فإنه لا طاعة له وقد يأمر الوالد والزوج بمباح فيطاع وكذلك الأمير إذا أمر عالما يعلم أنه معصية لله والعالم إذا أفتى المستفتي بما لم يعلم المستفتي أنه مخالف لأمر الله

---

[97] النساء الآية 65

[98] النور الآية 51

[99] الأحزاب الآية 31

[100] النور الآية 63

[101] آل عمران 31

فلا يكون المطيع لهؤلاء عاصيا وأما إذا علم أنه مخالف لأمر الله فطاعته في ذلك معصية لله"[102]

وهذه القاعدة ذات أثر كبير في حماية المجتمع من الغلو في المتبوعين ، ورفعهم فوق منزلتهم التي جعلهم الله عليها ، فإن العصمة ليست لأحد من البشر إلا لأنبياء الله ورسله ، وبعضهم قد يجعل لمتبوعه قداسة من حيث لا يشعر ، فيذعن لقوله ، ويسلم لأمره ، حتى وإن تبين له أنه على خلاف الحق ، وبهذا تظهر الآراء الشاذة والأفكار المنحرفة التي قد تجر ويلات على الأمة الإسلامية برمتها ، وما ذاك إلا بسبب التقليد الأعمى ، والغلو المذموم في القادة والمتبوعين ، وشأن المسلم أن يدور مع الحق حيث دار ، وأن يتحرى وجه الصواب في كل مسألة يقدم عليها ، ولا سيما في المسائل التي تعم فيها البلوى ، وتأخذ طابعًا عموميًا للأمة المسلمة ، فينبغي أن يكون صدور الفتوى فيها من هيئات شرعية تأخذ بالاجتهاد الجماعي ، كالمجامع الفقهية ولجان الفتوى التي يكون على رأسها علماء ثقات ، لأن الرأي الجماعي أحرى بإصابة الحق بإذن الله من الرأي الفردي .

ولهذا كان علماء الأمة يحذرون من زلة العالم ، فإن العالِم إذا زل ، زل بزلته عالَم ، وفي حديث ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا : « وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين »[103] .

والأئمة المضلون : هم علماء وقادة السوء الذين يحلون ويحرمون على خلاف حكم الله ، وقد سمى الله طاعتهم في ذلك عبادة ، فقال تعالى : { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ }[104] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة والعامة المتبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة وقد « قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لما قرأ : { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ } فقال : يا رسول الله ، " ما عبدوهم فقال ما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم »[105]، فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه متبوعه والحرام ما حرمه والحلال ما حلله والدين ما شرعه إما دينا وإما دنيا وإما دنيا ودينا ، ثم يخوف من امتنع من هذا الشرك وهو لا يخاف أنه أشرك به شيئا في طاعته بغير سلطان من الله وبهذا يخرج من أوجب الله طاعته من رسول وأمير وعالم ووالد وشيخ وغير ذلك "

وإذا تتبعنا أسباب انحراف الفرق الضالة نجد أن من أهم تلك الأسباب الغلو في المتبوعين حتى أصبح كلامهم مقدمًا على كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأصبح الولاء والبراء معقودًا على الانقياد لذلك المتبوع من عدمه ، فمن قبل أقوال ذلك المتبوع فهو المسلم الذي تجب موالاته ، ومن ردها فهو الضال الذي تجب معاداته ، وهذا بلا شك هو الوقود الذي يشعل نار الفتنة بين الأحزاب والطوائف ، ويذكي روح التعصب والتطرف بين الأفراد والجماعات

---

[102] مجموع الفتاوى 19 / 261

[103] مسند الإمام أحمد 5 / 284 / 22505

[104] التوبة الآية 31

[105] السنن الصغرى ، المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، المكتبة الشاملة 10 / 116 / 20847

القاعدة الخامسة الحق لا يعرف بالرجال :

اعرف الحق تعرف رجاله هذا الكلام مما ينقل عن علي رضي الله عنه ، والحق ما وافق الدليل من غير التفات إلى كثرة المقبلين ، أو قلتهم ، فالحق لا يوزن بالرجال ، وإنما يوزن الرجال بالحق ، ومجرد نفور النافرين ، أو محبة الموافقين لا يدلّ على صحة قول أو فساده ، بل كل قول يحتج له ، خلا قول النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يحتج به .

وكثرة الأتباع ليست دليلًا على صدق الدعوى ، كما أن قلة الأتباع ليست دليلًا على ضعفها أو فسادها ، ففي الصحيحين عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي ليس معه أحد »[106] الحديث .

ولهذا قال بعض السلف : عليك بالحق ولا تستوحش من قلة السالكين ، وإياك والباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين .

ولهذا فإنه من غير المستساغ لمسلمٍ أن يحتج على عمله بكثرة الفاعلين له ، فانتشار التطرف والإرهاب المذموم ، واستخدام العنف من قبل الطوائف المختلفة لنشر مذاهبها وآرائها ، كل ذلك ليس دليلًا على مشروعيتها ، لأن العبرة بموافقة الدليل لا بالكثرة ، وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلك في دعوته سبيل الحكمة والبصيرة ، وهما بمعنى موافقة الحق ، وألا يهتم بتجميع سواد الناس إذا كان في ذلك مجانبة الحق ، ولننظر إلى ذلك التوجيه الرباني لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ففي آخر سورة يوسف بين الله له أنه ليس مكلفًا بأن يدخل الناس كلهم في دين الله فقال سبحانه : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ }[107] ثم بعدها ببضع آيات يبين الله له ما هو مكلف به وهو أن يسلك مسلك البصيرة ، فقال تعالى : { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي }[108] ، وفي سورة النحل يقول سبحانه : { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ }[109] ، فالمؤمن ليس مأمورًا بأن يُدخل الناس في دين الله بالقوة ، وأجره عند الله ليس مبنيًا على ذلك ، بل هو مأمور بتبليغ الرسالة ويؤجر على قدر موافقته للهدي الرباني ، حتى وإن لم يستجب له أحد ، ولهذا كان الرسل أفضل البشر مع أن بعضهم يأتي يوم القيامة ولم يؤمن معه أحد .

وعلى المؤمن ألا يستعجل النتائج في دعوته لأن ذلك يتعارض مع منهج الحكمة الذي أمره الله به ، هذا فضلًا عما تؤدي إليه العجلة من الإضرار بالدعوة ، وتضييق الخناق عليها وعلى أهلها .

القاعدة السادسة هنالك فرق بين الحكم المطلق والحكم المعين :

وهذه من أهم قواعد الخلاف ، والتي نشأ بسبب الجهل بها خلط ولبس كبير ، جعل من بعض الجهلة يكفرون المخالف لهم ، أو يبدعونه بمجرد ارتكابه للبدعة أو وقوعه فيما يعده أهل

---

[106] صحيح مسلم 1 / 137 / 549

[107] يوسف الآية 103

[108] يوسف الآية 108

[109] النحل 125

السنة كفرًا ، وإن من سمات أهل السنة أتباع الفرقة الناجية العدل في الحكم على المخالفين ، فهم وسط بين الوعيدية الذين يكفرون بارتكاب الكبيرة ، والمرجئة الذين يقولون : لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة .
فيفرق أهل السنة بين الحكم المطلق على المخالفين بالمعصية أو الفسق أو الكفر ، وبين الحكم على شخص معين ، ممن ثبت إسلامه بيقين ، ثم صدرت منه هذه البدع فلا يحكمون عليه بأنه فاسق أو عاص أو كافر حتى تقوم عليه الحجة ، وتزول عنه الشبهة ، كما يفرقون بين نصوص الوعيد المطلقة وبين استحقاق شخص بعينه لهذا الوعيد في أحكام الآخرة .
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " نصوص القرآن في الوعيد مطلقة كقوله : { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا }[110] وكذلك سائر ما ورد من فعل كذا فله كذا فإن هذه مطلقة عامة وهي بمنزلة قول من قال من السلف : من قال كذا فهو كذا ثم الشخص المعين ينتفي حكم الوعيد فيه بتوبة أو حسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو شفاعة مقبولة والتكفير هو من الوعيد فانه وإن كان القول تكذيبا لما قاله الرسول لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها .
وفي الحديث الذي في الصحيحين : في الرجل الذي قال : « إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليم فوالله لإن قدر الله علي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا من العالمين ففعلوا به ذلك فقال الله له : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : خشيتك ، فغفر له » .
فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذرى ، بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك وكان مؤمنا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك .
والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول أولى بالمغفرة من مثل هذا "[111]
القاعدة السابعة لا تجوز معارضة القرآن والسنة برأي أو عقل أو قياس:
وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم ، فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به ، ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة ولا قال قط قد تعارض في هذا العقل والنقل ولا فيهم من يقول إن له ذوقا أو وجدا أو مخاطبة أو مكاشفة تخالف القرآن والحديث فضلا عن أن يدعي أحدهم أنه يأخذ من حيث يأخذ الملك الذي يأتي الرسول ، وأنه يأخذ من ذلك المعدن علم التوحيد والأنبياء كلهم يأخذون عن مشكاته "[112]اهـ .

---

[110] النساء الآية 10
[111] مجموع الفتاوى 3 / 231
[112] مجموع الفتاوى 13 / 29

فينبغي أن يكون التحاكم مع المخالفين من المسلمين إلى قاعدة متفق عليها ، وأرضية مشتركة بين الطرفين ، إذ إن من قواعد الجدل والمناظرة : " أن الاستدلال على المسألة المتنازع عليها إنما يكون من الدليل المتفق عليه " ، ولا يمكن أن تتفق الأطراف إلا على الكتاب والسنة ، لأن الآراء تختلف ، والعقول تتفاوت ، والأهواء تتباين ، فكان لزامًا أن تزال الشبهة عن الخارجين قبل أن تستخدم معهم العقوبات كما نص على ذلك أهل العلم في أبواب قتال أهل البغي من المسلمين .

ومن مآثر الخليفة عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أنه يروى أنه فور توليه الخلافة كتب إلى قائد الخوارج - تلك الفرقة التي دوخت الخلفاء من قبله ، ولم تنفع معها لغة السيف - ويقال له : بسطام ، يقول له : " ما أخرجك علي؟ فإن كنت خرجت غضبًا لله فأنا أحق بذلك منك ، ولست أولى بذلك مني ، وبيني وبينك كتاب الله ، فهلم أناظرك ، فإن رأيت حقًا اتبعته ، وإن أبديت حقًا نظرنا فيه ، فما كان من قائدهم بعد أن بغته الخليفة بتلك الحجة ، وهو أمر لم يعتد عليه إلا أن أذعن لمقولته ، وعقدت المناظرات بين أهل السنة والخوارج ، ولذا لم تقم لهم قائمة في خلافته .

القاعدة الثامنة المخالفون لأهل السنة ليسوا على درجة واحدة:

فمنهم المجتهد المخطئ ، والجاهل المعذور ، والمتعدي الظالم ، والكافر الضال . وفيما يأتي تفصيل كل منهم :

أولا : المجتهد المخطئ :

يقول ابن تيمية :" ليس كل من خالف في شيء من اعتقاد الفرقة الناجية يجب أن يكون هالكا ؛ فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله خطأه وقد لا يكون بلغه في ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة ، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو الله به سيئاته وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول والقانت وذو الحسنات الماحية والمغفور له وغير ذلك فهذا أولى ، بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا في هذا الاعتقاد ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا وقد لا يكون ناجيا كما يقال من صمت نجا .

واستدل - رحمه الله - على أن المجتهد المخطئ في المسائل الاعتقادية معفو عنه بعدة أدلة :

الدليل الأول : أنه ثبت بالكتاب المفسر بالسنة أن الله قد غفر لهذه الأمة الخطأ والنسيان فهذا عام عموما محفوظا وليس في الدلالة الشرعية ما يوجب أن الله يعذب من هذه الأمة مخطئا على خطئه .

الدليل الثاني : ما ثبت في الصحيح من حديث أبى هريرة أن رسول الله قال: « إن رجلا لم يعمل خيرا قط فقال لأهله إذا مات فأحرقوه ثم أذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا به كما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه فإذا هو قائم بين يديه ثم قال لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر الله له » وقد تقدم تخريجه .

فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله - تعالى - على إعادة ابن آدم بعد ما أحرق وذري وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك وهذان أصلان عظيمان :

أحدهما : متعلق بالله تعالى ، وهو الإيمان بأنه على كل شيء قدير .

والثاني : متعلق باليوم الآخر وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه على أعماله .
ومع هذا فلما كان مؤمنا بالله في الجملة ومؤمنا باليوم الآخر في الجملة وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت وقد عمل عملا صالحا وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه غفر الله له بما كان منه من الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح .
الدليل الثالث : أن السلف أخطأ كثير منهم في كثير من هذه المسائل واتفقوا على عدم التكفير بذلك مثل ما أنكر بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحي ، وأنكر بعضهم أن يكون المعراج يقظة ، وأنكر بعضهم رؤية محمد ربه ، ولبعضهم في الخلافة والتفضيل كلام معروف ، وكذلك لبعضهم في قتال بعض ولعن بعض وإطلاق تكفير بعض أقوال معروفة ، وكان القاضي شريح ينكر قراءة من قرأ " بل عجبتُ - بضم التاء - "ويقول : إن الله لا يعجب ، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي ، فقال : إنما شريح شاعر يعجبه علمه ، كان عبد الله أفقه منه فكان يقول : بل عجبتُ ، فهذا قد أنكر قراءة ثابتة وأنكر صفة دل عليها الكتاب والسنة واتفقت الأمة على أنه إمام من الأئمة ، وكذلك بعض السلف أنكر بعضهم حروف القرآن مثل إنكار بعضهم قوله : { أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا } وقال : إنما هي أولم يتبين الذين آمنوا ، وهذا خطأ معلوم بالإجماع والنقل المتواتر ومع هذا فلما لم يكن قد تواتر النقل عندهم بذلك لم يكفروا وإن كان يكفر بذلك من قامت عليه الحجة بالنقل المتواتر .

ثانيًا - الجاهل المعذور :

فهذا يعذر لجهله ، حيث لم تقم عليه الحجة[113] .
يقول ابن تيمية : " لا ريب أن الخطأ في دقيق العلم مغفور للأمة وإن كان ذلك في المسائل العلمية ، ولولا ذلك لهلك أكثر فضلاء الأمة ، وإذا كان الله يغفر لمن جهل تحريم الخمر لكونه نشأ بأرض جهل مع كونه لم يطلب العلم فالفاضل المجتهد في طلب العلم بحسب ما أدركه في زمانه ومكانه إذا كان مقصوده متابعة الرسول بحسب إمكانه هو أحق بأن يتقبل الله حسناته ويثيبه على اجتهاداته ولا يؤاخذه بما أخطأ تحقيقا لقوله ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا "[114]

ثالثًا - المتعدي الظالم :

وهو من يأثم ببدعته ، ولا يصل به الأمر إلى الكفر .
وضابط هؤلاء كما يقول ابن تيمية :"أن من كان خطؤه لتفريطه فيما يجب عليه من اتباع القرآن والإيمان مثلا أو لتعديه حدود الله بسلوك السبل التي نهى عنها أو لاتباع هواه بغير هدى من الله فهو الظالم لنفسه وهو من أهل الوعيد بخلاف المجتهد في طاعة الله ورسوله باطنا وظاهرا الذي يطلب الحق باجتهاده كما أمره الله ورسوله فهذا مغفور له خطؤه "[115]

رابعًا - الكافر الضال :

---

[113] مجموع الفتاوى 3 / 179
[114] مجموع الفتاوى 20 / 165
[115] مجموع الفتاوى 3 / 317

كحال كثير من الغلاة الذين يغلون في مشايخهم ويرفعونهم فوق مقام النبوة ، أو يضفون عليهم خصائص الألوهية ، أو الذين يقولون بوحدة الوجود أو بالحلول والاتحاد ، فكل هؤلاء مشركون كفار .

القاعدة التاسعة موافقة الجماعة في المسائل الاجتهادية الظاهرة فيما يراه المجتهد مرجوحًا خير من مفارقتهم إلى ما يراه راجحًا:

ذلك أن من أهم المقاصد الشرعية الاتفاق وعدم المنازعة ، كما قال تعالى : { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }[116]، فكل ما يقوي وحدة الصف المسلم ، ولا يترتب عليه محظور شرعي فهو مطلوب ، وهكذا كان هدي السلف رضوان الله عليهم :

فقد صح عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه عاب على عثمان (رضي الله عنه) صلاته بمنى أربعا وصلى معه , فقيل له في ذلك فقال : الخلاف شر[117]

وفي المدونة : " قلت لمالك : إنه يلينا قوم يرون خلاف ما ترى في السهو , يرون أن ذلك عليهم بعد السلام فيسهو أحدهم سهوا يكون عندنا سجود ذلك السهو قبل السلام , ويراه الإمام بعد السلام فيسجد بنا بعد السلام ؟ قال : اتبعوه فإن الخلاف أشر[118]

وقال ابن تيمية رحمه الله : "ويسوغ أيضا أن يترك الإنسان الأفضل لتأليف القلوب , واجتماع الكلمة خوفا من التنفير , عما يصلح كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم بناء البيت على قواعد إبراهيم ; لكون قريش كانوا حديثي عهد بالجاهلية , وخشي تنفيرهم بذلك . ورأى أن مصلحة الاجتماع والائتلاف مقدمة على مصلحة البناء على قواعد إبراهيم . وقال ابن مسعود لما أكمل الصلاة خلف عثمان , وأنكر عليه فقيل له في ذلك , فقال : الخلاف شر ; ولهذا نص الأئمة كأحمد وغيره على ذلك بالبسملة , وفي وصل الوتر , وغير ذلك مما فيه العدول عن الأفضل إلى الجائز المفضول , مراعاة ائتلاف المأمومين , أو لتعريفهم السنة , وأمثال ذلك "[119]

القاعدة العاشرة اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية :

المفترض في كل متناظرين أنهما طالبا حق ، لكن قد يخفى الحق عليهما أو على أحدهما ، والخفاء قد يكون سببه خفاء الدليل أو الدلالة ، فيختلفان فتقع بينهما المناظرة ، وقد تنكشف المناظرة ولا يتفقان على قول واحد ، لكنهما مستصحبان للنية الأولى وهي طلب الحق . فهذا الاختلاف لا يقطع حبل المودة بينهما ، ولا يعكر على القلوب صفاءها ، فضلًا عن التنابذ والتدابر ونحو ذلك .

ولقد ضرب لنا سلفنا أمثلة شامخة في هذا الباب ، من ذلك:

---

[116] آل عمران الآية 103

[117] سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، الناشر : دار الفكر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد / 602 / 1960

[118] المدونة 1 / 360

[119] مجموع الفتاوى 22 / 437

1-ما قاله يونس الصدفي[120] قال: ما رأيت أعقل من الشافعي ؛ ناظرته يومًا في مسألة ثم افترقنا ، ولقيني فأخذ بيدي ، ثم قال: (يا أبا موسى ، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا ، وإن لم نتفق في مسألة) [121]؟!

2-ما رواه ابن عبد البر عن العباس بن عبد العظيم العنبري قال: كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي بن المديني راكبًا على دابة ، قال: فتناظرا في الشهادة ، وارتفعت أصواتهما حتى خفت أن يقع بينهما جفاء ، وكان أحمد يرى الشهادة ، وعلي يأبى ويدفع ، فلما أراد علي الانصراف ، قام أحمد فأخذ بركابه[122].

3-وقال الإمام أحمد بن حنبل عن إسحاق بن راهويه : (لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق ، وإن كان يخالفنا في أشياء ، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا)[123]

القاعدة الحادية عشرة الاختلاف قد يكون اختلاف تنوع أو اختلاف تضاد:

فحتى نحصر الخلاف في دائرته الضيقة ، ينبغي أن يفرق بين اختلاف التنوع ، واختلاف التضاد ، ففي كثير من الأحيان ينصب الخلاف بين العالمين أو الفرقتين أو المذهبين ، وعند التأمل نجد أن الاختلاف بينهم إنما هو اختلاف صوري ، لا حقيقة له ، وإنما اختلفت عبارة كل منهما عن الآخر ، فظُن هذا الاختلاف نزاعًا .

ويقول أهل العلم : إن اختلاف التنوع سببه أحد أمرين :

الأول : أن يعبر كل واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى ، ومن ذلك : اختلاف المفسرين في معنى الصراط المستقيم ، فقيل : هو القرآن ، وقيل الإسلام وقيل: السنة ، وكل هذه المعاني صحيحة إذ لا تعارض بينها فهي من اختلاف التنوع .

والثاني : أن يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل ، ومن أمثلة ذلك : الاختلاف في صيغ الأذان والتشهد وأدعية الاستفتاح ونحو ذلك ، فمثل هذه المسائل لا ينبغي أن تكون سببًا للنزاع والفرقة والمنابذة ، لأن السنة قد جاءت بها جميعًا ، فلا تثريب على المسلم فيما لو أخذ بأي صفة وردت .

ومن العجب ما نشاهده في بعض البلدان الإسلامية من وقوع المنازعات وفي بعض الأحيان يتطور الأمر إلى المصادمات والمشادات الكلامية والتراشق بالاتهامات والتبديع والتكفير بسبب مسائل فرعية لا ينبغي أن تكون مثارًا للنزاع ، ومنبعًا للفتنة ، كرفع اليدين في الصلاة ، والجهر بالتأمين ، والقنوت في صلاة الفجر ، ونحو ذلك من المسائل ، ومرد ذلك والله أعلم هو الجهل بفقه الخلاف ، وما ينبغي على المسلم عمله تجاه من يخالفه في الرأي ، وها

---

120 المتوفى سنة 264 هجرية

121 سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي ، ، المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط 19 /10 10 / 19

122 جامع بيان العلم وفضله ، يوسف بن عبد البر النمري ، الناشر دار الكتب العلمية ، سنة النشر 1398 ، مكان النشر بيروت 2 / 107 122
تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1400 – 1980 ، تحقيق : د. بشار عواد معروف

123 2 / 381

قد عدنا إلى حيث ما بدأنا به ، وهو التأكيد على أهمية هذا الموضوع الذي تسبب إغفاله وإهماله من قبل المربين إلى الحالة التي لا تحسد عليها أمتنا الإسلامية من الضعف والتمزق والافتراق .

أسباب الخلاف :

وجود الخطأ أصلا :

إن وجود الخطأ سبب قوي في نشوء الخلاف ، يكبر الخلاف معه ويصغر ، وهو يشكل علاقةً مطردةً ، لذلك أهل السنة والجماعة على خلاف مع الفِرَق المبتدعة سواءً الأشاعرة أو المعتزلة أو القدرية أو الجبرية أو الرافضة أو الخوارج أو الصوفية ، وذلك بسبب أخطاء تلك الفرق المبتدعة ، والخلاف معهم ليس بدرجة الخلاف الذي يكون مع الزنادقة والكفرة والملاحدة ، كما أن الخلاف هنا مع ضخامته ضد أهل الضلال والزيغ ، فإنك تجده محجماً بين المذاهب السنية الأربعة المالكية والأحناف والشافعية والحنابلة ، وذلك لأن الأخطاء الواقعة كانت في مسائل فقهية فرعية ، فهم لم يختلفوا بحمد الله في مسائل عقدية كالمبتدعة ، وبالتالي كان الخلاف بينهم صغيراً وبسيطاً ، يتحقق فيهم قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر »[124]. ولكن يظل خلافاً يجب رده للكتاب والسنة .

البغي والعدوان :

البغي بغير علم وبغير هدي, فإنك تجد بعض الناس يحب أن يبغي على الآخرين, لأن من طبيعته العدوان, فهو كبعض الحيات التي تحتوي على السم, فإذا لم تلدغ في السنة مرة ماتت . فتجد بعض الناس كهذه الفصيلة مع الآخرين .

فهو كما يقول زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يُهدَّم ومن لا يظلم الناس يُظلِم

وهذا البيت أوله صواب, ولكن آخره خطأ ؛ لأنه يدعو إلى الظلم والعدوان .

والذي يخالف دائماً بهوى, وبدون حق يبغضه الخالق . والذي يحب أن يخالف بحق فله مكانته ورأيه .

قال سبحانه وتعالى: { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ }[125].

وقال سبحانه: { جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ }[126]

فاليهود يشهدون أن محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ رسول من عند الله ، فلما جاءهم بالعلم كفروا بغياً وعدواناً .

الحسد :

قال سبحانه وتعالى: { حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ }[127]

---

124 صحيح البخاري 6 / 2676/ 69

125 آل عمران الآية 19

126 البقرة الآية 89

127 البقرة الآية 109

والحسد يسري في أهل المهن المتشابهة ,والمتقاربين في السن ، والزملاء والأقران ، إلا من رحم الله ، فتجد الشيخ يخالف الشيخ ، والطالب يخالف الطالب ، والمهندس يخالف المهندس ، والطبيب يخالف الطبيب ، والشاعر يخالف الشاعر . .

الكبر :

وهذا أوضحه ، وقد عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « الكبر بطر الحق وغمط الناس »[128] بطر الحق أي ردّه ، وغمط الناس : أي احتقارهم .

فتجد بعض الناس , لا ينظر إلى الآخرين لأجل هذا الكبر .

وما حمل أبا جهل على رد دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا الكبر ، وكذلك الوليد بن المغيرة , وكذلك الطغاة من قبلهما كفرعون وقارون وهامان .

لقد كان أبو جهل يعلم أن محمدًا صلى الله عليه وسلم صادق ورسولٌ من عند الله عز وجل, لكنه كان يقول: إذا قال بنو هاشم : عندنا النبوة فماذا نقول ؟ فانظر إلى الكبر والعياذ بالله .

قال سبحانه وتعالى : { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ }[129].

وقال تعالى : { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ }[130]

فالمتكبر يرد الحق ويخالفه لأنه يرى أنه ليس بإمكانه أن يتنازل لك ليسمع منك الحوار ، ويسمع منك المناظرة لحاجة في نفسه .

في حين أنه ينبغي للإنسان أن يقرر في نفسه للناس مبدأ التواضع للآخرين , وقبول الحق منهم, ولو كانوا أقل منه علمًا أو تقوى

التعصب للأشخاص والمناهج :

فبعض الناس إذا أحب شخصًا تولع به , فلا يكاد يبصر إلا رأيه أو اجتهاداته , ولو كانت خاطئة .

وهذا المنهج غير صحيح ؛ لأن المعصوم هو محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل أحد منا يؤخذ من قوله ويرد إلا محمدًا صلى الله عليه وسلم .

والكتب كلها يقع فيها اختلاف إلا القرآن الكريم: { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }[131] .

وبعض الناس يرى أن منهجه ووسيلته وطريقته هي الصائبة فقط, ولا أصوب منها ، أما غيرها فخطأ ، وأنه يجب على الناس أن يمضوا على منهجه , وأن يسلموا لطريقته , وأن يسلِّموا لما يقول .

وهذا ليس بصحيح . ولذلك يقول أهل هذا المبدأ كما وصفهم الله تعالى: { وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا }[132] . وكما قال - تعالى - عن الكافرين المتعصبين

---

[128] صحيح مسلم 1 / 65 / 275

[129] الأنعام الآية 33

[130] الأعراف 146

[131] النساء الآية 82

[132] النساء الآية 51

لآبائهم بالباطل: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ }[133].
فأبو جهل مثلا يقول: كيف يكون الحق مع بلال ومع صهيب ومع ابن مسعود وهم ضعفاء الناس في نظره ، وما علم الجاهل أنهم من سادات الأمة رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين .
قال رجل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه : يا علي ، أتظن أن الحق معك والباطل مع طلحة والزبير وعائشة ؟ يعني في معركة الجمل .
قال : ويلك !! اعرف الحق تعرف أهله , ولا تعرف الحق بالرجال .
فالتعصب للأشخاص والمناهج مصيبة , وقد أضرت بالأمة الإسلامية وأخرت ركبها وأشغلتها بالخلافات والردود ، حتى أحاط بنا الأعداء من كل جانب ,يستثنى من ذلك إذا كان هذا التعصب لأمر كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، فهو حق لا بد من التمسك به .

ضيق الأفق :

فبعض الناس ضيق الأفق , لا يتسع صدره للمحاورة ولا للنقاش, فهو يغلق عليك الطريق منذ أول وهلة مقرراً رأيه ومسفها لما سواه .
يقول الله سبحانه وتعالى : { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ }[134] ، أي : اتركه حتى يسمع النور , واتركه حتى يسمع الوحي , واجعل له فرصة حتى يظهر لك ما في صدره .
ولا يفوتنا هنا: قصة « عتبة بن ربيعة وهو من رؤساء الشرك في قريش, عندما ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليحاوره , فتركه صلى الله عليه وسلم حتى انتهى وفرغ من قوله وهو يعلم أنه باطل وإفك وزور .
ثم قال صلى الله عليه وسلم : أفرغت يا أبا الوليد » .
وكأنه صلى الله عليه وسلم مستعد لسماع محاضرة ودرس أطول من هذا المشرك .
لأنه صلى الله عليه وسلم يريد هداية الناس ، فلا بد أن يسمع منهم ليعرف عللهم فيعالجهم بموجبها .
فما بالك إذا كان المحاور لك أخا من إخوانك المؤمنين ؟ أفلا يكون أحق بالسماع من ذلك المشرك؟
يقول الشافعي : قولنا صواب يحتمل الخطأ, وقول غيرنا خطأ يحتمل الصواب .
ويقول : والله ما ناظرت أحداً إلا وددت أن يصيب وخفت عليه أن يخطئ, أو كما قال .
وكان إذا ناظر أحداً يدعو ويقول: اللهم سدده , اللهم ثبته .
ولذلك رفع الله الشافعي وأمثاله .

فساد التصور وضعفه :

---

[133] البقرة الآية 170
[134] التوبة الآية 6

فإن بعض الناس عنده فساد في تصور الأمور وإدراكها, فمثلاً: هو يجعل الصغائر من المعاصي كبائر .
فإسبال الثياب مثلاً يعدها بعض العلماء كبائر لقوله صلى الله عليه وسلم : « ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار »[135], لكنها ليست من الموبقات السبع التي عدها صلى الله عليه وسلم , ثم إن صاحبها لا يكفر بها , فتجد بعض الناس يكبر هذه المسألة , ويضخمها لفساد تصوره , وينسى غيرها مما هو أهم منها , كمسائل العقيدة وأمور التوحيد , وإن كان الإسبال محرماً شرعاً .
أو أنه يحمل الآيات والنصوص على غير محملها كما فعل الخوارج , فهم يحملون آيات الكفار على المؤمنين فيستحلون دماء المسلمين عياذاً بالله .
وأما أهل السنة فإنهم يحملون آيات الكفار على الكفار وآيات المؤمنين على المؤمنين ، وينزلون الأمور منزلها الشرعي من غير إفراط ولا تفريط ومن غير غلو ولا جفاء .

إلزام ما لا يلزم :
فتجد بعض المخالفين يقول : قال العالم الفلاني كذا وكذا , ومعنى كلامه كذا وكذا , إذا فهو كذا وكذا .
فمثلاً: وجد من الناس من يستمع الغناء في هذا الزمن . فيقول بعضهم : من سمع الغناء ورضي به فهو فاسد .
ومن كان فاسداً , ورضي بالفساد في بيته فهو ديوث . . .
ومن كان ديوثاً فهو لا يدخل الجنة , لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ثلاثة لا ينظر الله - عز وجل - إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه , والمرأة المترجلة , والديوث »[136].
فانظر كيف بنى, وقرر, وألزم, وأدخل الناس النار, لأنه بنى على قواعد واحتمالات لم يتبينها من المحكوم عليه ، مع العلم بأن الغناء محرم شرعاً .
تقول: له رحمة الله واسعة , والله غفور لذنوب العباد .
فيقول في نفسه: المرجئة يقولون: إن الله غفور بالعباد , والمرجئة يسهِّلون المعاصي , إذا فهذا مرجئ , فهو إذا مبتدع أو زنديق .

وكذلك في مسألة التكفير تجد الغلاة المكفرة كفروا بعض المسلمين واتجهوا بعد ذلك إلي من لم يكفرهم من المسلمين فكفروهم ويحتجون بالقاعدة الشرعية: "من لم يكفر الكافر فهو كافر" . والقاعدة صحيحة لكن الفهم الخارج عن فهم السلف كان سبباً في وقوعهم في تكفير أهل الإسلام نسأل الله السلامة .

---

[135] مسند الإمام أحمد 16 / 27 / 9934
[136] سنن النسائي 5 / 80 / 2562

غلبة العاطفة على العقل :

خاصة في سن الشباب الذي ما بين العشرين إلى الثلاثين . فتجد الشباب يندفع بعاطفته الجياشة وكلامه الناري , مستخدماً العبارات الثقيلة التي تجنح به عن قبول الحق , لأنه لم يتدبر فيه بعقله بل بعاطفته .

فمثلاً: يخطئ بعض الناس في محاضرة ما في الحكم على حديث , فيقول أحد الشباب: لماذا يقول بأن هذا الحديث صحيح , وهو ضعيف , فهذا يدل على عدم معرفته بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم , وهجره للسنة , وعدم اهتمامه بالأثر الشريف .

وهذا حماس وعاطفة لا داعي لها . بل الواجب: أن يبين بأنه قد أخطأ في الحديث , عارضاً وجهة نظره بحب وود وهدوء .

بل يقع أكبر من ذلك في مسائل عقدية بسبب الحماس المندفع وغير المؤهل شرعاً ، والعقل يأتي تبعاً للشرع لأن الإسلام - ولله الحمد - جاء لأهل العقول ، فإن المجنون مرفوع عنه القلم والتكاليف ، قال تعالى : { وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ }[137].

عدم التثبت في الأقوال والأفعال :

يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }[138] .

فكثير من الناس يبني أحكامه على غير معرفة للرأي الآخر, فإذا سمع مثلاً أن داعية من الدعاة قال كذا وكذا . قام على المنبر بخطبة رنانة ليرد عليه .

فيظهر له بعد الخطبة أنه ما قال ذلك .

فيسقط في يده , ويضع نفسه في موقف محرج لا داعي له ؛ لأنه اعتمد في رواياته على الأخبار الكاذبة !

وأهل السنة من منهجهم أنهم إذا بلغهم الخبر , تثبتوا من صاحبه , وشافهوه وراسلوه ليعرفوا مقصوده حتى يردوا ويحاورا على بينة

يقول تعالى: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا }[139].

فوصيتي لإخواني: أنهم إذا سمعوا خبرًا من رجل أو من داعية , أو من طالب علم , أو مفكر, أو من مسؤول أن يتثبتوا ويتأكدوا ، حتى لا يكونوا عرضة للتهم ولا للمجازفة ولا للعجلة والطيش .

اختلال التوازن المعرفي والعلمي :

وهذا الذي أقصده في الخلاف المذهبي المعتبر, فإن اختلال التوازن بين الأطراف في التحصيل المعرفي أو العلمي أو القدرة على الاستنباط قد يكون سبباً في نشوء خلاف سائغ ، ولكن الواجب هو اتباع الحق عند أي طرف , فإن بعض العلماء قد لا يصله الدليل ، أو يفهم

---

[137] العنكبوت الآية 43

[138] الحجرات الآية 6

[139] الإسراء الآية 36

من النص خلاف ما يفهم غيره من العلماء ، أو يرى أن النص منسوخ أو لا يحتج به لأنه لم يثبت لديه ، في حين أنه ثابت لدى غيره من العلماء ، والحل هو كما قال تعالى: { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا }[140]. والرد إلى الله تعالى هو الرد لكتابه المطهر ، والرد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرد إلى سنته المطهرة ، وبهذا يتحقق التوازن ويزول الخلاف بمشيئة الله تعالى .

اتباع الهوى :

وهذه المسألة طامة كبرى وورطة عظيمة ، وذلك لأن صاحب الهوى صعب الاقتناع ، شديد الدفاع ، وقليل من أتباع الهوى من يعودون إلى الجادة إلا من رحم ربك . واتباع الهوى على صنفين:

أما الصنف الأول: فهم الكفرة المردة الجحدة الذين قال الله تعالى فيهم : { فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ }[141].

وقال - سبحانه وتعالى - عنهم: { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ }[142].

والآيات والأحاديث في هذا السياق والدلالة كثيرة جدًّا ، والمقصود هو إيصال المراد وتوضيح المسألة .

أما الصنف الثاني: فهم المبتدعة المنحرفة عن طريق السلف وفهمهم في تطبيق السنة , فهؤلاء ابتدعوا في دين الله - تعالى - ما لم يأذن به الله ولم يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشئوا طقوساً ومراسيم واحتفالات وهيئات ما أنزل الله بها من سلطان ، بحجة التقدير والتوقير ، وربما الحب الظاهر دون اتباع ولا دليل ولا برهان ، وإذا أتيت تحاور الشخص منهم كأنك اعتديت على أمر مسلّم بصحته وسنيته ودليله .

فتدخل معه في نقاش طويل والصواب أن يختصر معه الطريق ويقال له: يا هذا يقول تعالى : { قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }[143]، ويقول صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[144]، أي مردود على صاحبه غير مقبول ، وذلك لأن الشريعة كملت وما مات صلى الله عليه وسلم إلا وقد بلغ الرسالة كاملة . يقول تعالى : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }[145] .

والسؤال: أين الدليل من الكتاب والسنة على حجية عملك أو قولك هذا ؟ والجواب لا دليل فقط اتباع الهوى . فيكون هذا الصنف , والصنف الأول سببين في نشوء الخلاف ، وإن كان الصنف الأول (وهم أتباع الهوى الكفرة) خلافهم مع المسلمين خلاف جذري ، أما الخلاف الناشئ مع صنف المبتدعة فهو خلاف بحسب بدعته ؛ فإن البدع كما ذكر أهل العلم بدع

---

[140] النساء الآية 59

[141] البقرة الآية 89

[142] الأنعام الآية 33

[143] البقرة الآية 111

[144] متفق عليه

[145] المائدة الآية 3

مكفِّرة وبدع مفسقة . فإن الذي يطوف بالقبور ويسأل الأموات من دون الله تعالى ، ويذبح لغير الله - تعالى - معتقداً نفعاً منهم أو ضرًّا ، وبُيِّن له الحق فأصر وألح واتبع هواه ، فهذا بدعته مكفرة ، يقع معه ومع أضرابه خلاف كبير ؛ لأن الخلاف على أصل من أصول العقيدة وهو العبادة التي هي حق الله تعالى الخالص . فمعنى لا إله إلا الله أي إفراد الله عز وجل بالعبادة ، فلا معبود بحق سواه سبحانه وتعالى ، ومعنى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أي إفراد محمد صلى الله عليه وسلم بالاتباع لا الهوى ولا أي شخص سواه صلى الله عليه وسلم .

والخلاف مع أهل البدع - كما هو معروف بالتجربة والبرهان - خلاف صعب للغاية ؛ لأن المبتدع يرى أنه على حق ، فإذا ما تم الحوار معه تلعثم وانسحب دون رجوع عن قوله وفعله إلا من رحم الله ، ولكن للإنصاف نجد بعض الجهلة يقلدون المبتدعة في أمور ربما يكون بعضها شركية فإذا ما نصح وبين له الخطأ وأن هذا العمل مخالف لسنة المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فإنهم في الغالب يعودون إلى الحق ، ولكن مقصودي الخلاف مع أشياخهم وضلالهم فإنهم سائرون على خطى الشيطان في بدعتهم ، إلا من تداركه الله برحمة منه وفضل . نسأل الله الهداية واتباع الحق والبعد عن الضلال والهوى .

آداب الخلاف :

الإخلاص والمتابعة :

يجب وجوباً على المسلم في جميع أمره أن يتحقق فيه شرطان: الإخلاص لله تعالى ثم متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك موضوعنا ومحور حديثنا (الخلاف) ، فإنهما (الإخلاص والمتابعة) من آدابه ، بل هما الأساسان اللذان يجب أن ينطلق منهما الحوار في مواجهة الخلاف وعرضه وتحليله ، وبالتالي إزالته بإذن الله تعالى . فيجب أن يكون القصد من الحوار هو وجه الله تبارك وتعالى ، لا من أجل أن تتناقل الألسنة أن فلاناً محاور جيد أفحم المخالفين بالحجة والبرهان وجعلهم في ورطة ، وأحرج موقفهم وكشف عوارهم لا ، بل يكون القصد هو رضى الرحمن وحده ، سواء رضي الناس أم غضبوا ، وكذلك يكون الحوار على سنة محمد صلى الله عليه وسلم وبأسلوبه الكريم ، فإن الله تعالى يقول: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ }[146]، فإن كنت قائداً فهو أسوتك ، وإن كنت جندياً فهو أسوتك ، وإن كنت معلماً فهو مدرستك ، وإن كنت طالباً فهو معلمك ، وإن كنت زوجاً فهو مثالك في الحياة الزوجية والأسرية ، وإن كنت مقاتلاً فهو معك يعلمك ، وإن كنت داعية بالحسنى فهو أستاذك, فالمقصود أنه صلى الله عليه وسلم قدوة الأمة الصالحة لكل زمان ومكان ، فلا تستطيع أن تعمل عملاً أو تسلك طريقاً خيّراً إلا تجده أمامك ليرشدك الطريق ، فكان لزاماً علينا معشر المسلمين وقد حققنا الشرط الأول وأخلصنا العمل لله تعالى دون شريك أن نحقق الشرط الثاني ؛ وهو تحقيق المتابعة الخالصة له صلى الله عليه وسلم ، حتى تكون جميع أمورنا في هذه الحياة قائمة على بناء سليم قويم ، ومن ذلك فنون الحوار في التعامل مع الخلاف وأهله بأدب وروية حتى يسير على أسس الحوار العلمي الصحيح بإذن الله تبارك وتعالى.

إحترام الآخر :

وهذا من الأولويات الأخلاقية في التعامل وهي ليست مرتبطة بحالة الإختلاف فقط وإنما هي من حقوق المسلم على المسلم قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوموم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) [147]

حسن الإستماع والإنصات للمخالف :

فقبل أن تُصدر أحكامك على المخالف يجب عليك أن تحاوره وتسمع رأيه وحجته قال الحسن يا بني إذا جلست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تتكلم وتعلم حسن الإستماع كما تتعلم حسن الكلام .

الهدوء في الرد :

---

[146] الأحزاب الآية 21

[147] الحجرات الآية 20

وذلك بأن لا يصل الأمر إلى رفع الصوت , لأن رفع الصوت لا يكون إلا في الخطب والمواعظ التي تستلزم ذلك .
قال تعالى: { وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }[148].
وصاحب الباطل أحياناً يرفع صوته في الحوار , حتى يظهر للناس أنه محق .
أما صاحب الحق فهو متزن ، يوصل كلمته في تمكن واطمئنان لأنه صادق .

تجنب منهج التحدي والإفحام :

قال تعالى : (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) وقال تعالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) وقال تعالى في بيان أرقى صور الحوار (وإنا أو إياكم لعى هدى أو في ضلال مبين) ولأن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف وقد تفحم الخصم ولكنك لا تقنعه

الإبتعاد عن العجب :

العجب يفسد العمل ويقطع التوفيق من الله تعالى وهو أدعى لعدم قبل المخالف للحق فلذلك من آداب الخلاف المهمة البعد عن العجب والغرور بالنفس .

التجمل بالصبر والرفق :

فلا بد عن الخلاف والحوار من التجمل بالصبر على المخالف والتحلي بالرفق قال شيخ الإسلام ابن تيمية : فيما يعين على حسن الخلق لا بد منهذه الثلاثة : العلم والرفق والصبر ولنا في قصص الأنبياء وصبرهم على مخالفيهم أوصح دليل وخير شاهد ومثال .

الإلتزام بآداب الحوار التي سبقت :

من ضبط النفس والبدء بنقاط الإتفاق ووالإقبال على المخالف والمحاور وتحرير نقاط ونوع الخلاف فأحياننا يكون الخلاف خلاف تنوع لا خلاف تضاد وهو خلاف صوري وليس حقيقي فتحرير نوع الخلاف من المهمات بمكان .

وفي الختام هذه المباحث التي في هذا الكتاب هي تمثل مفردات مادة الخطابة وآداب الحوار لطلاب الدراسات الإسلامية بكلية دلتا العلوم وقد اجتهدت بقدر المستطاع أن أغطيها ، سئلا المولى عز وجل أن يتقبله وأن ينفعني به في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وأرجوا من إخوان أن لا يقصروا أو يخروا نصحا أو ملاحظة بدت لهم فيه فهو جهد مقل والله أسأله التوفيق والسداد إنه سميع قريب مجيب

[148] لقمان الآية 19

قائمة المراجع والمصادر :

1. البيان والتبيين ، أبي عثمان عمرو بن بحر ، الناشر : دار صعب – بيروت ،الطبعة الأولى ، 1968 ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي

2. في تاريخ الأدب الجاهلي ، دراسة وتحقيق:د علي الجندي ، الناشر:مكتبة دار التراث ، طبعة دار التراث الأول 1412هـ - 1991م

3. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن المقري التلمساني ، الناشر : دار صادر- بيروت - لبنان ص.ب 10 ، الطبعة الأولى 1968 ، المحقق : إحسان عباس

4. الإيمان، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ،الطبعة الثانية ، 1406 ، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

5. البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، الناشر : مكتبة المعارف - بيروت

6. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل الشيباني ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثانية 1420هـ ، 1999م ، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون

7. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري ، الناشر : دار طوق النجاة ،الطبعة : الأولى 1422هـ ، المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر

9. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، الناشر : دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة - بيروت

الطبعة :

10 . الْمُعْجَمُ الصَّغِيْرُ لِلطَّبْرَانِيِّ ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الناشر : المكتب الإسلامي , دار عمار - بيروت , عمان ، الطبعة الأولى ، 1405هـ=1985م ، تحقيق:محمد شكور محمود الحاج أمرير

11. الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ،الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون

12. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، أحمد زكي صفوت ،الناشر : المكتبة العلمية - بيروت

13 . مصنف عبد الرزاق ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثانية ، 1403 ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي

14. المصباح المنير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري ، الناشر: المكتبة العصرية ، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد

15 . مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني ، الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م ، المحقق : أنور الباز - عامر الجزار

16. المنتقى من السنن المسندة ، عبد الله بن علي بن الجارود أبو محمد النيسابوري ،الناشر : مؤسسة الكتاب الثقافية – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1408 – 1988 ، تحقيق : عبدالله عمر البارودي

17 . المجتبى من السنن ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة الثانية ، 1406 – 1986 ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة

18.أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات ، مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي ، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1406 ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط

19. سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي ، الناشر : دار الفكر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد

20 . سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبي ، ، المحقق : مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط

21 . جامع بيان العلم وفضله ، يوسف بن عبد البر النمري ، الناشر دار الكتب العلمية ، سنة النشر 1398 ، مكان النشر بيروت

22 . تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1400 – 1980 ، تحقيق : د. بشار عواد معروف

23 . تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني ت: 852هـ الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ، الطبعة الأولى، 1326هـ

24 .الإيمان، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية ، 1406، تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي

25 .الجامع الصحيح سنن الترمذ ، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون

26 . فنون خطابية ، أبو جعفر ماجد بن جعفر الغامدي ، السعودية – الطائف ، المكتبة الشاملة

26 . إحياء علوم الدين ، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، سنة الولادة 450/ سنة الوفاة 505 ، الناشر دار االمعرفة - بيروت

27. المعجم الكبير المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الناشر : مكتبة العلوم والحكم – الموصل الطبعة الثانية ، 1404 – 1983 تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي

28. مصنف عبد الرزاق ، المؤلف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ،الطبعة الثانية ، 1403 ،تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

29 . السنن الصغرى ، المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي ، المكتبة الشاملة